

# الكتاب الثاني

---

تراث ابن خلدون  
الفكري والاجتماعي

---

obeikandi.com

# الفصل الاول

## علم العمران كما يعرضه ابن خلدون

فهم ابن خلدون للتاريخ . علم العمران أو الإجتماع البشرى . كيف يعتبره اساسا لفهم التاريخ . تحليله لظواهر المجتمع . تقسيبه لعلم العمران . محتويات المقدمة . نقد ابن خلدون لكتاب التاريخ . استعراضه لموضوع علمه . نظريته في العصبية . ابن خلدون والعرب . حملته عليهم . حديثه عن الدولة والملك . نظريته في عمر الدولة . الملك وأصنافه . نشأة المدن والامصار . المعاش ووجوه الرزق . انواع العلوم .

يمتاز ابن خلدون عن جمهرة المؤرخين المسلمين بل عن جميع المؤرخين قبله بأنه نظر الى التاريخ كعلم يستحق الدرس لا رواية تدون فقط . وقد أراد أن يكتب التاريخ على ضوء منهج جديد من الشرح والتعليل ، فاتمى به التأمل والدرس الى وضع نوع من الفلسفة الإجتماعية ، وكتب مقدمة مؤلفه التاريخى لتكون شرحا وتمهيدا يقرأ على ضوءها التاريخ وتفهم وقائعه ، بفئات وحدة مستقلة من الإبتكار الفائق ، تسجل مذهبها جديدا في فهم الظواهر الإجتماعية وتعليلها ، وفي فهم التاريخ ونقده وتحليله .

ويصف لنا ابن خلدون هذا البحث الجديد الذى وفق اليه بأنه علم مستقل بنفسه ، وأنه ذو موضوع خاص «وهو العمران البشرى والاجتماع الإنسانى» وذو مسائل «هى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى» . ويقوى لنا إن هذا العلم «مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة» انتهى اليه

بالبحث الخاص ، ولم يقف لأحد قبله على كلام فيه ، اللهم الا اذا كان القدماء الذين عفت آثارهم ولم تصلنا ، فهو أول من وضعه ونظم أصوله وشروحه .

ولهذا العلم الجديد الذى ابتكره ابن خلدون ، فى فهم التاريخ ، ودرسه اهمية كبيرة ، فهو فى راية قانون لتمحيص الحق من الباطل فى الرواية وإظهار الممكن والمستحيل ، وذلك « بأن ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته ، وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضا لا يعتد به ، وما لا يمكن أن يعرض له ، واذا فعلنا ذلك ، كان ذلك قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار ، والصدق من الكذب ، بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه » ، ومحاولة فهم التاريخ على هذا النحو هى التى حملت ابن خلدون على درس هذا الموضوع الجديد ، وهو ما يسميه العمران أو الاجتماع البشرى (١) .

بيد أن ابن خلدون ينظر الى موضوعه من أفق شاسع جدا ، ويجعل من المجتمع الإنسانى كله ، وما يعرض له من الظواهر الطبيعية مادة لتأمله ، ويحاول أن يتبع هذا المجتمع بالدرس والتحليل فى جميع أطواره منذ نشأته وبدأوته الى استقراره وانتظامه فى المصر والدولة ، وتردده بين الضعف والقوة ، والفتوة والكهولة ، والنهوض والسقوط ، ويستقصى خلال ذلك ، أحوال هذا المجتمع وخواصه ، وعناصر تكوينه وتنظيمه من الفرد والجماعة الى السلطان والدولة ، وما يعرض لهذه العناصر فى حياتها الخاصة والعامة من الظروف

والأحوال ؛ وما تقتضيه سلامة هذا المجتمع ، وما يؤذن بفساده  
وانحلاله ، فهو في الواقع يعالج مادة شاسعة تفوق تعريفه الأول .  
وفي مكان آخر يلخص ابن خلدون ، مادة علمه من الناحية  
الموضوعية في انها « ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران  
في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجوه برهانية ، يتضح بها  
التحقيق في معارف الخاصة والعامة وتدفع بها الأوهام والشكوك » (١)  
ثم يقسم بعد ذلك موضوعه الى ستة فصول كبيرة هي :

الأول — في العمران البشرى على الجملة واصنافه وقسطه من  
الأرض .

الثاني — في العمران البدوى و ذكر القبائل والأمم الوحشية .

الثالث — في الدول والخلافة والملك و ذكر المراتب السلطانية

الرابع — في العمران الحضرى والبلدان والأمصار .

الخامس -- في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه .

السادس — في العلوم واكتسابها وتعلمها (٢) .

وهذا التقسيم الإجمالى يقدم الينا فكرة عما يرى ابن خلدون أنه  
مادة لهذا العلم الذى يسميه بالعمران أو الاجتماع البشرى . وهو تقسيم  
تبدو دقته وبراعته متى استعرضنا بعد ذلك مواد مقدمته كلها ،  
ورأينا كيف ينبسط الموضوع ويتشعب الى أبعد الحدود ، وكيف  
ينظم ابن خلدون حلقات بحثه فى سلسلة وثيقة الإتصال والتماسك ،  
تشهد بتفوق هذا الذهن العبقرى ، وطرافته ، وقوة تدليله وجدله .

(١) المقدمة — ص ٣٣ .

(٢) المقدمة — ص ٣٤ .

لسنا نحاول في هذه الرسالة أن نتناول فلسفة ابن خلدون ونظرياته الإجتماعية بالتحليل والنقد<sup>(١)</sup> ، فذلك مهمة لا يتسع لها هذا المقام الضيق . ولكنا نحاول فقط أن نستعرض محتويات مقدمته بإيجاز ، وأن نقف قليلا ببعض نظرياته الإجتماعية .

يبدأ ابن خلدون مقدمته بالحديث عن قيمة التاريخ ومذاهبه وعمما يرتكبه المؤرخون من الأخطاء في إيراد الأخبار والوقائع ، سواء بعامل الغرض والتحيز ، أو بعامل السهو والجهل بقوانين العمران وأحوال المجتمع ، وعدم الدقة والتمحيص في تقدير الممكن والمستحيل . ثم يمثل لذلك بعدة أمثلة يناقشها ويحاول أن يبين وجه الخطأ فيها . بيد أن هذه المناقشة لا تخلو أحيانا من الضعف أو الهوى . فأما الضعف فيبدو مثلا في أسباب دحضه لقصة العباسة أخت الرشيد مع جعفر البرمكي ، وفي دفاعه عن خلال الرشيد ، ثم دفاعه عن خلال المأمون<sup>(٢)</sup> . وأما الهوى فيبدو مثلا في حديثه عن نسب الخلفاء العبّيديين ( الفاطميين ) ، ونسب الأدارسة بالمغرب الأقصى ، ومحاولته نقض المطاعن التي توجه الى نسبهما<sup>(٣)</sup> . وقد رأينا أن حياة ابن خلدون كسياسي يتقلب

---

(١) يستطيع من يريد شرحا وافيا لمقدمة ابن خلدون ونظرياته الفلسفية والاجتماعية أن يرجع الى رسالة صديق الدكتور طه حسين (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) التي نقلتها الى العربية .

(٢) المقدمة — ص ١٢ و ١٤ و ١٦ و ١٧ .

(٣) المقدمة — ص ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ .

في مختلف الدول والقصور تجعله يخضع أحيانا لمؤثرات الدعوة والهوى . على أن معظم حديثه في هذا الفصل طريف ممتع ، وكثير من ما أخذه على أسلافه من الرواة والمؤرخين قوى صارم . وهو يتدرج من ذلك الى ضرورة تمحيص الوقائع والأخبار طبقا لهذا القانون الذي يتكون في رأيه بدرس العمران أو الإجتماع البشرى على نحو ما قدمنا .

بعد هذا التمهيد النقدي المستفيض ، يتحدثنا ابن خلدون عن العلم الذي ابتكر موضوعه ، فيبدأ طبقا لتقسيمه الذي أتينا عليه ، بالحديث عن العمران أو الاجتماع البشرى بصفة عامة ، ويشرح لنا طبيعة الاجتماع وضرورته وكيفية تنوعه بالنسبة للإقليم ، وتأثره بظروف الجو من الحر والبرد والاعتدال ، وأثر الهواء في أخلاق البشر وألوانهم وأحوالهم ؛ ويستعرض خلال ذلك جغرافية العالم كما كانت تعرف في عصره ، وهي جغرافية الأقاليم السبعة . ولسنا نلمس في هذا الفصل كثيرا من الطرافة أو الجدة . وفي الفصل الثانى يتناول ابن خلدون أنواع العمران البدوى ، فيحدثنا بإفاضة عن المجتمع البدوى وخواصه ويقارنه بمجتمع الحضرة . وهنا إحدى النظريات الإجتماعية المبتكرة التى يطالعنا بها المؤرخ ، فهو يحدثنا هنا عما يسميه «العصبية» وهى عبارة عما تتمتع به القبيلة أو الأسرة من القوة والجاه ، وقوامها فى نظره الاتصال برابطة النسب والقربانة وما اليهما من الروابط الممائلة . وهذه العصبية هى منشأ الرياسة والسلطان أو الدولة فى المجتمع البدوى ؛ وتكون هذه الرياسة لأهل العصبية ؛ ومدى الحسب الذى تترتب عليه العصبية فالرياسة ،

في نظره أربعة أجيال ، وقد يمتد الى خمسة أو ستة ولكن في حالة انحطاط وضعف . وتنهيار العصبية ومن ثم الرياسة بانحلال الحسب . وتنتقل الى عشيرة أو أسرة أخرى تجتمع لها أسباب الكثرة والقوة وهكذا . وغاية العصبية هي الملك<sup>(١)</sup> . وهنا يتحدث ابن خلدون عن خواص الملك واختلاف صورته ومداه باختلاف الأمم التي يقوم فيها ، وأثر الغلبة في الأمم المغلوبة وكونها مولعة دائماً بتقليد الغالب .

ثم يحدثنا ابن خلدون عن العرب . وحديث ابن خلدون عن العرب طريف شائق رغم ما يطبعه من شدة وتحامل . فالعرب في نظره أمة وحشية ، تقوم فتوحهم على النهب والعيث ، ولا يتغلبون إلا على البسائط السهلة ولا يقدمون على اقتحام الجبال أو الهضاب لصعوبتها ، وإذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب لأن طبائعهم من الرحلة وعدم الانقياد والخروج على النظام منافية للعمران ، ولأنهم أهل تخريب ونهب يخربون المباني وينهبون الأرزاق ، ويفسدون الأعمال والصنائع ، وهم أبعد الأمم عن سياسة الملك ، لأنهم لبدائوتهم وخشوتهم أكثر شعورا بالاستقلال والحرية لا يدينون لرياسة أو نظام . وسياسة الملك تقتضى النظام والخضوع والانقياد<sup>(٢)</sup> . ويستمر ابن خلدون بعد ذلك في حملته على العرب في مواضع أخرى من مقدمته ، فيقول لنا إن الأبنية التي يخطتها

---

(١) راجع شرح ابن خلدون لنظريته في العصبية ، وخواصها ، وتطورها

في المقدمة ص ١٠٨ — ١١٧ .

(٢) المقدمة ص ١٢٥ — ١٢٨

العرب يسرع اليها الخراب، وإن العرب أبعد الناس عن الصنائع  
وإنهم ليسوا أهلا للعلم، وإن معظم حملة العلم في الدول الإسلامية  
أكثرهم من الأعاجم<sup>(١)</sup>. وإذا كان ابن خلدون يعتمد في هذه الجملة  
على كثير من الأدلة والملاحظات الصادقة فإنه مع ذلك يبالغ  
في حكمه على العرب، وتعوزه الحجّة في كثير من آرائه. ولا يتسع  
المقام هنا لمناقشته وتفنيده آرائه بإفاضة. ولكننا نقول فقط في شأن  
الفتوحات العربية، إن العرب هم الذين افتتحوا وهاد الشام  
ومفاوز الأناضول وأرمينية وتوغلوا فيما وراء فارس، واقتحموا  
شمال إفريقيا حتى المغرب الأقصى ثم إسبانيا، وعبروا جبال البرنيه  
إلى فرنسا. وهذه كلها أقطار وعرة وليست من البسائط التي  
يسهل غزوها. وقد افتتحها العرب جميعا في أقل من قرن،  
وفي وابل من الظفر الباهر. ثم إن العرب لم يخربوا هذه الأقطار،  
ولكنهم بالعكس أقاموا فيها دولا ومجتمعات عامرة زاهرة، ويكفي  
لكي ندحض نظرية ابن خلدون في خواص الفتوح العربية أن  
نستشهد بقيام الدولة الأموية في المشرق، ثم قيام الدولة الإسلامية  
في إسبانيا. وقد نفهم سر هذا التحامل الذي يطلق رأي ابن  
خلدون في العرب بمثل هذه الشدة إذا ذكرنا أنه رغم انتسابه إلى  
أصل عربي ينتمي في الواقع إلى ذلك الشعب البربري الذي افتتح  
العرب بلاده بعد مقاومة عنيفة وفرضوا عليه دينهم ولغتهم،  
واضطروه بعد طول النضال والمقاومة والانتفاض أن يندمج أخيرا  
في الكثرة الإسلامية، وأن يخضع راغما لرياسة العرب في إفريقية

واسبانيا حتى تحين الفرصة لتحرره ونهوضه . والخصومة بين العرب والبربر في إفريقية واسبانيا شهيرة في التاريخ الاسلامى ، وقد ورث البربر بغض العرب منذ بعيد ، ونشأ ابن خلدون وترعرع في هذا المجتمع البربرى يضطرم بمشاعره وتقاليده وذكرياته ، ونشأت فيه أسرته قبل ذلك بمائة عام ، ونعمت برعاية الموحدين البرابرة وتقلبت في نعمهم ، فليس غريبا بعد ذلك أن نسمع منه أشد الأحكام وأقساها على العرب .

بيد أنه يجب أن نلاحظ من جهة أخرى أن ابن خلدون يجيش هنا بنزعة علمية وأخرى قومية ، فابن خلدون يحمل على العرب الذين ينتسب اليهم بمثل هذه الشدة ، ولكنه يحاول هنا أن يدعم ملته بالأدلة والشواهد التاريخية ، ويطبع حديثه هنا نزعة علمية تحررت من أغلال التقاليد الموروثة . ثم هو يجيش هنا أيضا بعاطفة وطنية قوية ، فهو ينطق هنا بلسان ذلك الوطن البربرى الذى غزاه العرب واثخنوا فيه مدى أحقاب و بسطوا عليهم سلطانهم الدينى والسياسى ، ولبت عصورا يقاتل فى سبيل حرياته واستقلاله .

وفى الفصل الثالث يحدثنا ابن خلدون عن الدولة والمُلك . فالدولة تحدث بالقبيل والعصبية على نحو ما تقدم ، وللدولة خواص معينة ، وصور معينة تختلف باختلاف القائمين بأمرها ، وللدعوة الدينية أثر فى تقوية الدولة ولكن الدعوة الدينية لا تتم إلا بالعصبية أيضا . والخلاف يوهن الدولة ويدنى أجلها . وللملك كما للدولة طبائع وخواص ، منها الانفراد بالمجد ، والترف والدعة والسكون وهى خواص إذا استحكت ، فانها تحمل الدولة الى الهرم ثم الفناء . ثم

إن للدولة أعماراً طبيعية كالأشخاص، ويقدر ابن خلدون عمر الدولة منذ نشأتها حتى الفتوة ثم الكهولة فالهرم والسقوط بثلاثة أجيال في الغالب، ويقدر الجيل بأربعين عاماً، فعمر الدولة لا يعدو في الغالب مائة وعشرين سنة إلا في أحوال نادرة<sup>(١)</sup> وهذه النظرية تتفق مع نظرية الحسب التي تقدمت عند ذكر العصبية. وهنا يبلغ ابن خلدون ذروة الابتكار والطرافة وتبدو نظرياته الإجتماعية وتحليله للجمع، في منتهى القوة والروعة. وفي رأينا أن هذا الفصل هو أبداع أقسام المقدمة وأمتنها في العرض والتدليل، وأسطعها في الدلالة على براعة هذا الذهن القوي الممتاز.

ويستمر ابن خلدون في موضوع الدولة والمُلك طويلاً، فيتناول بعد ذلك تحول الدولة من البداوة إلى الحضارة، وأطوارها المختلفة، وأثر الموالى والمصطنعين في هذا التطور. ثم يتناول الملك وأصنافه والإمامه والخلافة واختلاف الآراء في شأنهما، ومذاهب الشيعة، ثم عن تحول الخلافة إلى الملك ورسوم الخلافة من بيعه وولاية عهد وغيرها، وألقابها وخططها الدينية وهي القضاء والعدالة والسكة، ثم عن الملك وخططه كالوزارة ودواوين الأعمال والحماية والرسائل والشرطة وقيادة الأساطيل، ورسوم الملك وشاراته المختلفة، والحروب ومذاهبها، والحماية والمكوس ونظم التجارة، وينحتم ابن خلدون هذا الفصل بالكلام عن الظلم، وكونه يؤدي إلى انحلال الدولة وخراب العمران وحديثه هنا أيضاً قوى مبتكر.

ويلحق بموضوع الدولة حديث البلدان والأمصار، ونشأة

المدن وخواصها واختلاف ظروفها وأحوالها، من خصب ورفاهة وجذب وفقر، وهو اختلاف يتعدى أثره إلى الأقطار التي تضم هذه المدن، ثم موقف أهل البادية من المصر، وتوقف مدى الحضارة في المصر على حالة الدولة، وكون الحضارة هي غاية العمران ونهاية عمره، وأنها مؤذنة بفساده، وتفاوت الأمصار في الغلة والصنائع واللغة، وهذا هو موضوع الفصل الرابع من المقدمة .

وفي الفصل الخامس يتحدث ابن خلدون عن المعاش ووجوه الرزق ووسائل اكتساب الثروة، ثم عن التجارة وما يتعلق بها من العرض والطلب والاحتكار والأسعار وغيرها، ثم عن الصناعات وأنواعها وأحوالها بصفة عامة، ثم يفرد لكل واحدة من أمهاتها كالزراعة والبناء والحياكة والتوليد والطب فصلا خاصا .

وينحصر ابن خلدون الفصل السادس للكلام عن العلوم والتعليم . والعلم من طبائع العمران، ويكثر ويزدهر حيث يعظم العمران، ثم يتحدث عن أنواع العلوم الدينية والمدنية (الوضعية والعقلية)؛ ويتخلل ذلك فصول طويلة شائقة عن الرؤيا والسحر وأسرار الحروف والكيمياء والانفعال الروحاني والأسرار الخفية والاستدلال على الضمائر، وهي جميعا عنده من أنواع العلوم أو مما يلحق بها . ثم يحمل على الفلسفة والمشتغلين بها باعتبارها علما باطلا، وينوه بخطرها على الدين والعقيدة، ويناقش بعض الأصول الفلسفية ويفندها . ويحدثنا بعد ذلك عن التربية ومذاهبها وخواص العلماء وكون معظمهم في الإسلام من الأعاجم؛ وينحتم بفصول عن علوم اللغة والبلاغة والنثر والنظم ومذاهب الشعر لعصره .

# الفصل الثاني

## علم السياسة والملك قبل ابن خلدون

ابن خلدون مبتكر علم العمران . علم السياسة والملك قبل ابن خلدون . كتاب السلطان لابن قتيبة . نظريات الفارابي الاجتماعية . حديث إخوان الصفا عن السياسة وأقسامها . ماذا أفاد ابن خلدون من ذلك . تطور علم السياسة . الأحكام السلطانية وسياسة الملك لأبي الحسن المارودي . سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي . حديث ابن خلدون عن كتاب الطرطوشي . رسالة الغزالي في السياسة الملكية . المنهج السلوكي . الآداب السلطانية لابن الطقطقي . موضوعه وروحه النقدي .  
ابتكار ابن خلدون وطرائقه

هذه هي محتويات تلك المقدمة الشهيرة التي يعالج فيها ابن خلدون علمه الجديد « العمران » ويمهد بها لقراءة التاريخ وفهمه . وهذه المقدمة هي الكتاب الأول من تاريخه العام . ولكنها جاءت كما رأينا وحدة ضخمة مستقلة ، تمتاز بروعة ابتكارها ، وشاسع أفقها ، وطريف موضوعاتها ، وعمق مباحثها . وإذا كان هذا البحث الجديد الذي يعالجه ابن خلدون بمنتهى الإفاضة والبراعة والدقة يثير منا الإعجاب والدهشة ، فإنه يحمانا على التساؤل في الوقت نفسه ، ماذا كان نصيب ابن خلدون الحقيقي من ذلك الإبتكار الرائع؟ وهل كان له الفضل في ابتداع هذا العلم ، أم كان له فقط فضل التوسع والإفاضة في دراسة سبق أن عولجت من قبل؟ يقول لنا ابن خلدون إن علمه بكر جديد وانه ألهم اليه

الهامة<sup>(١)</sup>، بل هو لا يكاد يعرف ما هو ذلك العلم بالضبط ؛ فما نصيب هذه الدعوى من الصحة ؟ لقد حاولنا أن نستقصى مصادر ابن خلدون فيما خلفه المفكرون المسلمون قبله مما يمس موضوعه أو يقترب منه ، وأن نحقق بدرس هذه الآثار ما نقله الفيلسوف المؤرخ من أسلافه ، فانتبهنا بعد طول البحث الى أن ابن خلدون رجل موضوعه ، ومخترع علمه ، وصاحب الفضل الأول في ابتكار هذا العلم الجديد الذي يسميه «بالعمران أو الاجتماع البشرى» . نعم ان هنالك موضوعات مما يعالج ابن خلدون عولجت من قبل ، وهنالك مباحث تمس بعض موضوعات علمه ؛ ولكن هذه كما سنرى دراسات محدودة لبعض نواح ضيقة من ذلك العلم الشاسع الذي يعالجه ابن خلدون بمثل هذه الإفاضة في سلك متماسك منتظم الروابط والشواهد ، وكل ما خلفه أسلافه في ذلك لا يعدو لمحات ضئيلة مبعثرة هنا وهناك لا تجمعها وحدة عامة ، ولا يمكن أن تصلح وحدها أساسا لمثل هذه الدراسة الاجتماعية الممتازة . وقد رأينا أن نستعرض هذه المباحث الأولى التي يشير ابن خلدون الى بعض منها ، حتى نرى بالمقارنة المادية الى أى حد يرتفع ذلك الذهن الفائق في أفق الطرافة والابتكار .

لسنا نجد قبل ابن خلدون مفكرا مسلما يجعل المجتمع وتكوينه وخواصه موضوعا لدرسه وتأمله ، ولنا نجد بعض المفكرين المسلمين يعالجون منذ القرن الثالث الهجرى موضوع السياسة والملك كأنه علم خاص أو أدب خاص ؛ وقد فهمت السياسة

في هذا العصر بمعنى ضيق جدا ، هو شرح الخلال التي يجب أن يتمتع بها السلطان ، والعيوب التي يجب أن يبرأ منها لكي يحكم بأهلية وكفاية . وأما الملك فإنه يعالج من ناحية الشروط التي يجب توفرها شرعا في الإمام أو السلطان ، وما يخرجها عن أهلية الحكم ، ثم الخلل السلطانية كالوزارة والإمارة ومختلف الدواوين . وأقدم ما انتهى اليه في هذا الموضوع ما كتبه ابن قتيبة الدينوري<sup>(١)</sup> في كتاب « عيون الأخبار » حيث يفرد قسما خاصا عنوانه « كتاب السلطان » يتحدث فيه عن الخلال التي يجب أن يتحلل بها السلطان ، وفي رسوم صحبته ومعاملته ومشاورته وما يجب عليه نحو العمال والحكام<sup>(٢)</sup> . وعمدة ابن قتيبة في حديثه ، مجموعة من الأقوال والحكم الماثورة ، ومنها كثير مما ينسب لحكماء الفرس والهنود ، فحديثه أقرب الى النصيح والموعظة منه الى العرض والشرح . وفي أوائل القرن الرابع نجد فيلسوفا مسلما هو أبو نصر الفارابي<sup>(٣)</sup> يمس في مباحثه موضوع المجتمع والاجتماع بطريقة فلسفية ، فيتحدث في كتابه « مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة » عن حاجة الانسان الى الاجتماع والتعاون ، وعن نشأة القرى والمدن ، وعن خصال رئيس المدينة الفاضلة (السلطان) ، وما لا يناسب المدينة الفاضلة ، والفرق بين أهل المدن الفاضلة والمدن الضالة ؛ ثم عن

(١) توفى ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م .

(٢) راجع هذا الفصل في كتاب عيون الأخبار (طبع دار الكتب) ج ١

ص ١ - ١٠٧ .

(٣) توفى الفارابي سنة ٣٣٩ هـ - ٩٥٠ م .

الصناعات وأقسامها <sup>(١)</sup> كل ذلك بطريقة فلسفية موجزة جدا .  
وظهرت في أواسط القرن الرابع «رسائل إخوان الصفا» الفلسفية ،  
وفيها هنا وهناك لمحات وشذور عن بعض الموضوعات السياسية  
والاجتماعية ؛ ويعتبر إخوان الصفا « السياسة » علما مستقلا  
بذاته ويقسمونها الى خمسة أقسام : السياسة النبوية ، والملوكية ،  
والعامية ، والخاصية ، والذاتية . والأولى تتعلق بوضع النواميس  
والسنن الزكية وتطهير النفوس من شوائب العقائد والآراء الخبيثة .  
وأما السياسة الملوكية فهي « معرفة حفظ الشريعة على الأمة ،  
وإحياء السنة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإقامة  
الحدود وإنفاذ الأحكام التي رسمها صاحب الشريعة ورد المظالم  
وقمع الأعداء وكف الأشرار ونصرة الأخيار » . وأما السياسة  
العامية وهي الرياسة على الجماعات كرياسة الأمراء على البلدان  
والمدن ورياسة قادة الجيوش على العساكر « فهي معرفة طبقات  
المرؤوسين وحالاتهم وأنسابهم وصنائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم  
وترتيب مراتبهم ومراعاة أمورهم ... الخ » . وأما السياسة الخاصة  
فهى معرفة كل إنسان كيفية تدبير منزله وأمر معيشته ؛ وأما  
السياسة الذاتية فهي معرفة كل إنسان نفسه وأخلاقه <sup>(٢)</sup> .  
ويتحدث إخوان الصفا في أمكنة أخرى عن الغرض من الملوك  
وعن أنواع الرياسة ؛ وعن الإمامة وشروطها وأحكامها <sup>(٣)</sup>

(١) راجع كتاب المدينة الفاضلة (طبعة ليدن) ص ٥٣ و ٥٩ و ٦٧ .

(٢) رسائل اخوان الصفا (مصر) ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ .

(٣) رسائل اخوان الصفا — ج ١ ص ٢٣ و ج ٤ ص ٣٠ وما بعدها و ص ١٨١ .

ويتحدثون عن تقسيم العلوم ويقسمونها الى ثلاثة أقسام كبيرة الرياضية ، والشرعية الوضعية ، والفلسفية الحقيقية ؛ ولكل قسم منها أنواع وفروع كثيرة ، وتدخل الآداب بأنواعها في القسم الأول ؛ وعلوم الدين والقرآن والسنة في القسم الثاني ؛ والمنطقيات والطبيعات والالهيات في الثالث . وتوضع السياسة في باب «الالهيات» (١) . كذلك يتحدث اخوان الصفا عن تقسيم الصنائع وما تحتاج اليه من العناصر (٢) ، ويتحدثون عن « تأثير طبيعة البلدان في الأخلاق » في فصل خاص (٣) . كل ذلك في أسلوب علمي فلسفي رائع البيان والتدليل .

وهنا نقف قليلا . فإننا نجد فيما تناوله الفارابي واخوان الصفا شيئا مما تناول ابن خلدون في مقدمته . مثال ذلك حديث الفارابي عن حاجة الإنسان الى الاجتماع ، وعن نشأة القرى والمدن ؛ وحديث اخوان الصفا عن تقسيم العلوم ، والصنائع ، ثم عن تأثير طبيعة البلدان في الأخلاق . وقد تناول ابن خلدون هذه المسائل كما بينا (٤) وجعلها من موضوعات علمه . ولكنا نجد بالمقارنة أن ابن خلدون لا يكاد يشترك في هذه الموضوعات مع الفارابي واخوان

(١) رسائل اخوان الصفا — ج ١ ص ٢٠٢ وما بعدها .

(٢) رسائل اخوان الصفا — ج ١ ص ٢١١

(٣) رسائل اخوان الصفا — ج ١ ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .

(٤) راجع المقدمة : في ضرورة الاجتماع الانساني (ص ٣٤) ، وفي قيام المدن

والأمصار (ص ٢٨٦ وما بعدها) وفي تقسيم العلوم (ص ٣٥٨ وما بعدها) ، وتقسيم

الصنائع (ص ٣١٨ وما بعدها) ؛ وفي تأثير الهواء في اخلاق البشر (ص ٧٢ - ٧٣) .

الصفاء بأكثر من رؤوسها، وبينما يتناولها الفارابي واخوان الصفا بطريقة فلسفية علمية محضة إذا باين خلدون يتناولها من الناحية الإجتماعية، ويفيض في عرضها بطريقة عملية محضة ويذهب في الشرح والتدليل مذهبا آخر؛ فهو لا يخلو هنا أيضا من الاستقلال والطرافة والابتكار.

ثم نجد ذلك البحث الذي اصطلح على تسميته « بالسياسة » يتخذ مكانه وينتظم الى أدب خاص، ويعالج تارة من الناحية الفقهية المحضة، وتارة من الناحية الأخلاقية والفلسفية. ومن أشهر الكتب التي تعنى بجانبه الفقهي، كتاب الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م)؛ وهو من أشهر وأقيم الكتب في هذا الموضوع. وفيه يتحدث المؤلف بإفاضة عن الإمامة وشروطها، والإمام وما يجب أن يتوفر فيه من الصفات، وما يخرج به عن الإمامة، وما يجب على الأمة نحوه؛ ثم عن الوزارة وأنواعها والإمارة وأنواعها والقضاء وشروطه، والفى والغنيمية والجزية والحراج وأحكامها، والإقطاع، والدواوين، والحدود. كل ذلك من الناحية الفقهية وعلى المذهب الشافعي. وللماوردي أيضا رسالة أخرى عن « الوزارة وسياسة الملك » يتحدث فيها بإفاضة عن الوزارة وما يجب أن يتوفر في متوليها، ثم عن الوزير واختصاصه وواجباته وحقوقه نحو السلطان، وحقوق السلطان نحوه وأنواع الوزارات، وعلائق الوزير والسلطان. وبحث الماوردي هنا أخلاقي فلسفي تتخلله الحكم والأقوال الماثورة. وفي كتاب « سراج الملوك » لأبي بكر الطرطوشي الأندلسي

المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) يتقدم البحث قليلا . ويعالج الطرطوشى موضوعه من الناحية الأخلاقية والفلسفية، ويتناول بعض موضوعات لم يتناولها أسلافه فيحدثنا عن الخصال الواجبة في السلطان، والصفات التي تؤدي الى ضياع الملك، ثم عن خلال السلطان منفردة، وعيوبه منفردة؛ ويتكلم بعد ذلك عما يجب أن يتصف به السلطان نحو الجند والرعية، وما يجب عليه نحو الأموال العامة وإنفاقها؛ ثم عن الجزية وشروط العمال، وعن الدواوين، وعن الظلم وسوء عواقبه، ثم عن الحروب وتديرها وأحكامها . وكتاب الطرطوشى هو أكبر مؤلف من نوعه؛ ولكن الصبغة الدينية تغلب على أسلوبه، ويتخذ على الأغلب صورة الوعظ، وتخلله الأحاديث والحكم والأقوال المأثورة بكثرة . ويقول لنا الطرطوشى في ديباجته « إن كتابه لم يسبق الى مثله أقلام العلماء » . على اننا نرى مما تقدم ان غير واحد من كتاب المشرق قد سبق الطرطوشى الى موضوعه ، وإن كان الطرطوشى يمتاز بالإفاضة وبأنه طرق بعض أبواب لم تطرق من قبل .

وينخص ابن خلدون كتاب الطرطوشى بالذكر بين الكتب التي تمس موضوعه لأنه يحدثنا عن تلك الكتب، فيقول لنا إن في كتاب السياسة المنسوب لأرسطو جزء صالح من موضوع علمه إلا أنه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراهين . وكذا في كلام ابن المقفع، وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات، الكثير من مسائل علمه غير مبرهنة كما برهناها، وإنما يسلك في ذكرها منحنى الخطابة والترسل . ولكنه يصارحنا بأن الطرطوشى « قد

حوم في كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابه ومسائله ... ولكنه لم يصادف فيه الرمية ، ولا أصاب الشاكلة ، ولا استوفى المسائل ، ولا أوضح الأدلة ، إنما يوب الباب للسئلة ثم يستكثر من الأحاديث والآثار ... وكأنه حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده»<sup>(١)</sup> . والواقع أن ابن خلدون يعالج بعض الموضوعات التي يعالجها الطرطوشي ، مثل الدواوين ، ومذاهب الحروب ، وعواقب الظلم ، ولكنه ينحو في العرض والتدليل منحى آخر ، ولا نلمس في كتاب الطرطوشي أثر ذلك المذهب الإجتماعي المبكر الذي يسيطر على بحث ابن خلدون من مبدئه الى منتهاه .

ولدينا رسالتان أخريان في هذا الموضوع ، أعنى موضوع السياسة الملكية هما « التبر المسبوك في نصائح الملوك » المنسوب للامام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ( ١١١٢ م ) وضعه بالفارسية للسلطان محمد بن ملك شاه ، وهو مجموعة نصائح في الخلال التي يجب أن يتحلى بها السلطان ، ومعظمه مواعظ وقصص قديمة<sup>(٢)</sup> ، « والمنهج المسبوك في سياسة الملوك » ، كتبه عبد الرحمن ابن عبد الله للسلطان صلاح الدين الأيوبي ( أواخر القرن السادس ) في نفس الموضوع ، أعنى الخلال السلطانية ، وفيه أيضا حديث فقهي عن القتال والفيء والغنيمة ، ومواعظ وقصص قديمة مكررة .  
بقي لدينا من هذا الثبت مؤلف يمتاز بشيء من التوسع في فهم

(١) المقدمة ص ٣٣

(٢) طبعت هذه الرسالة على هامش كتاب «سراج الملوك» (مصر) .

الموضوع وشيئاً من الطرافة في عرضه، ذلك هو كتاب «الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية» لمؤلفه محمد بن علي بن طباطبا المعروف بالطَّقْطَقِي، الذي عاش، كما يستنتج من إشارات في كتابه، في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري بعد زهاب الدولة العباسية، وكتب مؤلفه في أواخر سنة ٧٠١ هـ (١٣٠٢ م) بمدينة الموصل لأمرها عيسى بن إبراهيم<sup>(١)</sup>، ويخصص ابن الطَّقْطَقِي في كتابه فصلاً كبيراً «للأمور السلطانية والسياسات الملكية»<sup>(٢)</sup> غير أنه يعرض موضوعه في صورة أخرى، ويقول لنا في مقدمته إنه لا يقصد البحث في أصل الملك وحقيقته وانقسامه إلى رياسات دينية ودنياوية من خلافة وسلطنة وإمارة وولاية، وما كان من ذلك على وجه الشرع وما لم يكن، ومذاهب أصحاب الآراء في الإمامة، وإنما يقصد البحث في موضوع «السياسات والآداب التي ينتفع بها في الحوادث الواقعة، والوقائع الحادثة، وفي سياسة الرعية وتحصين المملكة وفي إصلاح الإخلاق والسيرة»<sup>(٣)</sup>. ويتحدث ابن الطَّقْطَقِي في هذا الفصل عما يجب أن يكون عليه الملك الفاضل من الخصال وما لا يجب، ثم عن حقوق الملك على الرعية، وأخصها الطاعة. ويحدثنا طويلاً عن مزايا الطاعة وخواصها في الدولتين الأموية والعباسية، وكيف

(١) راجع مقدمة المؤلف في طبعة «جريفزولد» التي نشرها المستشرق ألفارت

سنة ١٨٥٨؛ وراجع أيضاً مقدمة الناشر الألمانية (ص ١٤ و ١٥).

(٢) الفخرى - ص ١٩ - ٨٨

(٣) الفخرى - ص ١٩

كان فقدها عاملا من أهم العوامل في وهن الدولة العباسية وسقوطها ،  
ويشرح نظريته بالوقائع والحقائق التاريخية<sup>(١)</sup> . ثم يتحدث عن  
الحقوق الواجبة للرعية على الملك وأنواع السياسات التي يجب أن  
يتبعها نحو مختلف الطبقات ، والنظر في العقوبات وتقديرها  
وظروفها ، وخطر الانغماس في الشهوات على الملك والدولة ، ويورد  
خلال ذلك شيئا من وصايا الحكماء اليونان والفرس . ولكن  
ابن الطقطقي لا يعنى بعرض المبادئ والقواعد النظرية عنايته  
بتطبيقها على حوادث التاريخ ولا سيما تاريخ الدول الإسلامية .  
وهو يمتاز في عرضها وتطبيقها بنزعة نقدية قوية قلما نلمسها  
في آثار أسلافه ، كما أنه يمتاز بحسن التدليل وتطبيق النظريات على  
الوقائع . بل نستطيع أن نقول إن هذا الفصل الذي يمهده به  
لتاريخ الدول الإسلامية كان فتحا جديدا في النقد التاريخي ،  
وفي درس الدولة من الناحية الاجتماعية . وهو بلا ريب مما يدخل  
في مواد تلك الدراسة الاجتماعية الشاسعة التي استخرج منها  
ابن خلدون علمه ومذهبه الاجتماعي . بيد أن ابن خلدون لم يطلع  
فيما يظهر على هذا الأثر الذي يعالج بعض نواح من موضوعه ،  
فقد كان الكتاب حديثا بالنسبة لعصره ، ولم يكن قد وصل تداوله  
وذيوعه من المشرق الى المغرب ؛ هذا الى أن الموضوع الذي  
يعالجه ابن الطقطقي ضيق جدا بالنسبة لدراسة ابن خلدون ؛ وإذا  
كان كلاهما يشترك في فهم التاريخ بطريقة تحليلية ، فإن ابن خلدون  
يتفوق على سلفه تفوقا عظيما بسعة آفاقه ، وينهج في دراسته سبيلا

أخرى تحتفظ بكل جدتها وطرافتها .

\*\*\*

والآن وقد عرضنا كل ما كتبه المفكرون المسلمون في موضوع الدولة والسياسة الملوكية والمدنية والاجتماعية قبل عصر ابن خلدون ، وبيننا بالمقارنة المادية أن هذا التراث كله لم يكن ليمد ابن خلدون أو يلهمه بموضوع علمه ، وإن كان يعرض الى نواح ضئيلة مما يتناوله ابن خلدون في دراسته ، فإننا نستطيع أن نقرر مع ابن خلدون أن ذلك العلم الذي يسميه بال عمران أو الاجتماع البشرى هو علم لم يوجد قبله في التفكير الاسلامى ، بل لم يوجد في التفكير القديم كله ، اذا استثنينا بعض ما خلفه الفلاسفة اليونان ولا سيما أرسطو عن نظم الدولة والمجتمع . فاذا كان ابن خلدون قد انتفع بشيء من تراث الماضى ، فانما يكون من هذا التراث الغابر ، ولا سيما تراث أرسطو ، وقد كان ابن خلدون فيما يظهر مطلعاً على بعض جوانب من فلسفة أرسطو ، كما يبدو من إشارته الى « سياسة » أرسطو ، وعلى شروح ابن رشد لأرسطو<sup>(١)</sup> . على أنه لا ريب في أن هذا الانتفاع لم يكن ذا شأن يذكر سواء في صوغ فلسفته التاريخية أو فلسفته الاجتماعية .

فابن خلدون اذاً ، كما قدمنا أستاذ موضوعه ، ومخترع علمه . وهو يقول لنا بحق إن علمه جديد مبتكر ، وأنه ليس من علم السياسة المدنية الذى تناوله أسلافه من قبل ، بل هو علم مستنبط النشأة

(١) راجع المقدمة — ص ٣٣ . وقد وضع ابن خلدون كما سنرى ملخصات

لبعض كتب ابن رشد ، ولكنها لم تصل الينا .

مستقل بذاته ، لم يعالجه مفكر قبله ، أو لم يعالجه بمثل ابتكاره وسعته  
واستيعابه .

وسنرى أن هذا العلم الذي استحدثه ابن خلدون واستنبطه ،  
يتخذ من حيث مادته وموضوعاته مكانه بين علومنا الحديثة ، في علوم  
الإجتماع ، وفلسفة التاريخ ، والنظام ، والاقتصاد السياسى .  
وسنبين فى موضع آخر ، كيف يرتفع النقد الحديث بقرائى ابن  
خلدون الإجتماعى الى أسى مكانة ، ويعتبره مبتكر علم الإجتماع  
الحديث وواضع أسسه .

# الفصل الثالث

## كتاب العبر والتعريف

مؤلف ابن خلدون التاريخي . فكرته الأصلية في الاقتصار على تاريخ المغرب .  
نتيجته لتاريخه وزيادته في محتوياته . مدحه لخلال البربر . طريقته وأسلوبه .  
كتاب التعريف أو ترجمة ابن خلدون لنفسه . محتويات التعريف . صراحة  
ابن خلدون في الكشف عن كثير من نزاعاته . خلاله القوية . الجانب القصصي  
في تعريفه . هل لابن خلدون آثار أخرى

— ١ —

ان هذا الكتاب الأول ، الذي يعرض فيه ابن خلدون نظرياته  
في التاريخ والاجتماع ، والذي يشغل وحده مجلدا كبيرا ، ليس إلا  
مقدمة لمؤلفه التاريخي الضخم أو تاريخه العام .

ويسمى ابن خلدون مؤلفه التاريخي : « كتاب العبر ، وديوان  
المبتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من  
ذوى السلطان الأكبر » ويقسمه الى ثلاثة كتب كبيرة على  
النحو الآتي :

الأول — في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض  
الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم  
وما لذلك من العلل والأسباب . وهذا الكتاب هو الذي عرضنا  
إليه فيما تقدم ، وهو المعروف بالمقدمة .

الثاني - في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليفة الى هذا العهد وفيه الإلماع ببعض من عاصروهم من الأمم والمشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبني اسرائيل والقبط ويونان والروم والترك والإفرنجية .

الثالث - في أخبار البربر ومن اليهم من زناته وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول .  
ويقع مؤلف ابن خلدون في سبعة مجلدات ضخمة ؛ الأول يشمل الكتاب الأول ، وهو علم العمران ؛ أو المقدمة ؛ وتبدأ الموسوعة التاريخية منذ المجلد الثاني . ويستغرق الكتاب الثاني وهو أخبار العرب وأجيالهم ، وأخبار باقي الأمم القديمة والتركية والفرنجية حتى القرن الثامن الهجري ( الرابع عشر الميلادي ) أربعة مجلدات ، من الثاني الى الخامس ؛ ويشمل الكتاب الثالث ، وهو أخبار البربر حتى عصر المؤلفين المجلدين السادس والسابع ؛ ويختتم ابن خلدون مؤلفه بالتعريف عن نفسه في عدة فصول كبيرة كما نفصل بعد .

ويبدأ ابن خلدون كعظم المؤرخين المسلمين بالحديث عن أصل الخليفة وأنساب الأمم المختلفة . وحديثه في ذلك معاد جله من الروايات والأساطير الدينية القديمة التي ترددها التواريخ الإسلامية نقلا عن التوراة وعن هيرودتوس (هرشيوش) بيد أنه يبدى ريبه في صحة الكثير منها . ويشرح لنا ابن خلدون بعد ذلك برنامج تاريخه كاملا<sup>(١)</sup> ؛ ويبدأ بالكلام عن العرب الجاهلية ،

(١) كتاب العبر - ج ٢ ص ١٦ و ١٧ .

ثم اليهود واليونان والرومان والفرس . وينقل معظم روايته عن اليونان والرومان عن ابن العميد .

ويشغل حديثه عن ظهور الإسلام وحياة النبي وعصر الخلفاء

الراشدين جزءا خاصا ألقه بالمجلد الثاني . ثم يبدأ تاريخ الدول

الإسلامية منذ المجلد الثالث ، فيتحدث عن الدولة الأموية ،

ثم الدولة العباسية بإفاضة . ويشغل تاريخ الدولتين المجلد الثالث .

ويشمل المجلد الرابع تاريخ الفاطميين والقرامطة وتاريخ الأندلس

منذ الفتح حتى مبدأ دولة بني الأحمر ، وتاريخ بني بويه وبني

سبكتكين . ويشمل المجلد الخامس تاريخ الترك السلاجقة بإفاضة

ثم تاريخ الحروب الصليبية ، وتاريخ دول المماليك في مصر حتى

أواخر القرن الثامن . ويعتمد ابن خلدون في هذا القسم أعنى تاريخ

العرب والدول الإسلامية على تراث أسلافه مثل ابن هشام والواقدي

والبلاذري وابن عبد الحكم والطبري والمسعودي وابن الأثير

وغيرهم . ويبدأ ابن خلدون كتابه الثالث وهو أخبار البربر في المجلد

السادس . ويذكر لنا ابن خلدون ان كتابة تاريخ البربر هي غرضه

الأول من وضع مؤلفه التاريخي ، إذ يقول في مقدمته : « وأنا

ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحا

أو مندرجا في أخباره وتلويحا ، لاختصاص قصدي في التأليف

بالمغرب وأحوال أجياله وأمه وذكر ممالكه دون ما سواه من

من الأقطار لعدم اطلاعي على أحوال المشرق وأمه ، وأن الأخبار

المتناقلة لا توفي كنه ما أريده منه » (١) . ولهذا التصريح من

جانب ابن خلدون قيمة خاصة ، فقد حمل بعض النقدة على تاريخه ، ورموه بالقصور وعدم الاطلاع والتحقيق فيما كتب عن المشرق . وقد أشرنا فيما تقدم الى أقوال الحافظ ابن حجر وغيره في ذلك (١) . والواقع ان القسم الخاص بتاريخ البربر من كتاب العبر ، هو — بعد المقدمة — أنفس أقسامه ، وأوفرها طرفا ، وأقواها عرضا وتحقيقا ، وفيه من الروايات والحقائق الغريبة عن أحوال تلك الأمم والقبائل البربرية ، ما لم يوفق اليه أى مؤرخ قبل ابن خلدون أو بعده . ولا غرو فان خلدون بطبيعة نشأته وحياته ، وتقلبه فى خدمة الدول والقصور البربرية ، ودرسه لأحوالها دراسة المطلع ، رجل هذا الموضوع وأقدر من يتناوله .

وفى هذا الكتاب الثالث يبدأ ابن خلدون حديثه عن «العرب المستعربة من بقية الدول الاسلامية من العرب» بالمغرب ، ثم تاريخ البربر والقبائل والبطون البربرية الشهيرة مثل زناته ومغراوة ولواته ومصمودة والبرانس وكمامة وصنهاجة منذ أقدم العصور حتى عصره ؛ ويقدم الينا عن أصول البربر ، وأحوالهم ، وعقائدهم قبل الفتح الاسلامى ، روايات وحقائق لم تكن معروفة من قبل . ويسرد تاريخ المرابطين والموحدين بإيجاز ؛ ثم يفيض فى تاريخ الدول البربرية القريبة من عصره والتي عاصرها إفاضة ظاهرة ؛ ولما كان ابن خلدون قد اتصل بمعظم هذه الدول المعاصرة ، وأدى فى تقلباتها ، أدوارا ، فانه يشير فى كثير من المواطن الى مواقفه

---

(١) راجع ص ٩٣ من هذا الكتاب .

وأعماله فيها<sup>(١)</sup> . ويشغل تاريخ البربر المجلد السادس ومعظم المجلد السابع من كتاب العبر كما انتهى اليها . بيد أنه يتضح من مراجعة أخبار الدول المعاصرة، أن ابن خلدون، قد راجع ما كتبه في شأنها وزاد عليه فيما بعد في كثير من المواطن . ونحن نعرف أن ابن خلدون قد أتم كتابة النسخة الأولى من تاريخه في تونس سنة ٧٨٣ هـ قبل نزوحه الى مصر . وهو يقول لنا خلال حديثه عن أخبار بني حفص ما يأتي : « كنت قد أنهيت بتأليف الكتاب الى ارتجاع توزر من أيدي ابن يملول وأنا يومئذ مقيم بتونس ، ثم ركب البحر في منتصف أربع وثمانين الى بلاد المشرق لقضاء الفرض ، ونزلت بالاسكندرية ثم بمصر ، ثم صارت أخبار المغرب تبلغنا على السنة الواردين ... »<sup>(٢)</sup> وقد وقع ارتجاع توزر سنة ٧٨٣ هـ<sup>(٣)</sup> . وفي مصر تناول ابن خلدون تاريخه بالتهذيب والإضافة ، ووصل في روايته في أخبار الدول البربرية الى سني ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ وأحيانا الى سنة ٧٩٦ هـ<sup>(٤)</sup> . ووصل في أخبار الدول المصرية والتركية حتى سني ٧٩٣ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ هـ<sup>(٥)</sup> . ووصل في أخبار الأندلس حتى سنة ٧٩٤ هـ<sup>(٦)</sup> .

(١) مثال ذلك ما ورد في ص ٣٧٧ و ٣٧٩ من المجلد السادس وفي ص ١٣٣

و ١٤٣ و ٣٠٥ و ٣٢٩ و ٣٣٤ و ٣٧٧ من المجلد السابع .

(٢) كتاب العبر — ج ٦ ص ٣٩٦

(٣) كتاب العبر — ج ٦ ص ٣٩٥

(٤) راجع ج ٦ ص ٣٩٩ و ٤٠٣ و ٤٢٤ — وج ٧ ص ١٤٥ و ١٤٦

٢١٩ و ٢١٨ و ١٤٧

(٥) راجع ج ٥ ص ٥٤٠ — ٥٥٠ و ص ٥٦١ و ٥٦٣

(٦) راجع ج ٤ ص ١٧٩

وهذه كلها إضافات وفصول جديدة أضيفت الى المؤلف الأصلي أثناء إقامة المؤرخ بمصر، والنسخة التي انتهت اليها، والتي نتداولها الآن، هي بلا ريب من أتم النسخ وأوفاهها .

ونلاحظ في هذا القسم أيضا — تاريخ البربر — أن ابن خلدون يفرد فصلا خاصا للتكلم عن خلال البربر « وعمما كان لهم قديما وحديثا من الفضائل الإنسانية والخصائص الشريفة » وهو يقول لنا بحماسة « وأما تخلفهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مراقبة الشرف والرفعة بين الأمم، ومراعاة المدح والثناء من الخلق، من عز الجوار وحماية التزليل ورعى الأذمة والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاراة والثبات في الشدائد ... وإبائة الضيم ومشاقفة الدول، ومقارعة الخطوب وغلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه، فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة لمتبعيه من الأمم »<sup>(١)</sup> ولم يعتقد ابن خلدون مثل هذا الفصل للتحدث عن خلال أية أمة من الأمم الأخرى، فهنا ينم عن هوى خاص ونعرة بربرية واضحة، وفي ذلك أيضا ما يفسر لنا صرامته في الحملة العرب غزاة إفريقية والمتغلبين عليها .

على أنه توجد أقسام أخرى من مؤلف ابن خلدون غير تاريخ البربر تمتاز بقيمة خاصة . مثال ذلك روايته عن دولة الإسلام في صقلية، وعن تاريخ الطوائف بالأندلس، والممالك النصرانية في اسبانيا،

(١) راجع ج ٦ ص ١٠٣ وما بعدها .

وتاريخ دولة بني الأحرار في غرناطة . وينوه العلامة دوزي بقيمة رواية ابن خلدون عن تاريخ النصارى في اسبانيا ويقول إنه لا يوجد في الآداب النصرانية في العصور الوسطى ما يستحق أن يقارن بها، وإن مؤرخا نصرانيا لم يوفق لكاتبه رواية في مثل وضوحها ودقتها عن أية دولة مسلمة «<sup>(١)</sup>» ويتفوق ابن خلدون في هذه الأقسام من تاريخه على المؤرخين المسلمين تفوقا عظيما من حيث الدقة والتحقيق وتمحيص الرواية، ويرجع ذلك في الغالب الى أنه اطلع على مصادر في عصره لم تصل اليها . وقد اهتم البحث الحديث برواية ابن خلدون عن تاريخ البربر اهتماما عظيما كما اهتم بمعظم هذه الأقسام الأخرى من تاريخه، فترجمت جميعا الى اللغات الأوروبية كما سنبين بعد .

ويختتم ابن خلدون كتابه بعدة فصول كتبها في التعريف بنفسه وسرد تاريخ حياته منذ نشأته حتى نزوحه الى مصر، وما توالى عليه بها من الحوادث حتى مستهل سنة ٥٧٩٧ هـ . وتعرف هذه الفصول «<sup>(٢)</sup> بالتعريف» أو التعريف بابن خلدون؛ وسنعود اليها فيما بعد .



وقد نهج ابن خلدون في تنظيم مؤلفه منهاجا جديدا ، فقسمه الى كتب ، ثم الى فصول متصلة متداخلة ، وتتبع تاريخ كل دولة على حدة من البداية الى النهاية مع مراعاة نقط الوصل والتدخل

---

Dozy : Recherches sur l'Histoire et Littérature (١)

d'Espagne au moyen âge, p. 96.

بين مختلف الدول . وهو من هذه الناحية يتفوق على أسلافه تفوقا كبيرا . وقد وضعت معظم الموسوعات التاريخية الإسلامية قبل عصره في صورة جداول تاريخية مرتبة وفق السنين ، وجمعت حوادث كل سنة رغم تباعدها وتباينها معا . ولكن ابن خلدون عدل عن هذه الطريقة الى طريقة الفصول والدول المتصلة ، وهي أقرب الى الدقة وحسن الرواية والتنسيق . وهو ليس أول من ابتدعها من المؤرخين المسلمين ، فقد سبقه اليها منذ القرنين الثالث والرابع مؤرخون كالواقدي ، والبلاذري ، وابن عبد الحكم المصري والمسعودي ، دونوا التاريخ فصولا متصلة (١) . ولكنه يمتاز عن أسلافه ببراعة التنظيم والربط والسبك ، ثم يمتاز عنهم أيضا بالوضوح والدقة في تبويب الموضوعات ووضع الفهارس .

ولابن خلدون أسلوب خاص في العرض والتعبير . وكما أن مقدمته تمتاز بطرافة موضوعاتها فهي أيضا تمتاز بروعة أسلوبها الأدبي الذي يجمع بين البساطة وقوة التعبير ، ودقة التدليل ، وحسن الأداء والتناسق . وإذا كانت المقدمة مثلا أعلى للتفكير الناضج والابتكار الفائق ، فهي في نظرنا أيضا مثل أعلى لحسن البيان والفصاحة المرسلة والعرض الشائق ، وذلك رغم ما يطرأ أحيانا على أسلوبها من ضعف في العبارة ، وغرابة في التعبير ، وشذوذ في اللفظ ، ترجع إلى نشأة ابن خلدون البربرية ، وثقفه بأداب

(١) الواقدي في كتاب « فتوح مصر والشام » المنسوب اليه ، والبلاذري في « فتوح البلدان » وابن عبد الحكم في « فتوح مصر وأخبارها » والمسعودي في « مروج الذهب » .

المغرب والأندلس ، ولم تكن يومئذ في أوج قوتها .  
ويكتب ابن خلدون تاريخه بنفس الأسلوب القوي المرسل ؛  
وفي أحيان كثيرة يرتفع إلى ذروة القوة في التعبير ، ولكنه في أحيان  
كثيرة يبالغ في الإيجار والإتباع ، فتبدو عبارته قاصرة عن بيان  
مقاصده ويعتورها الغموض واللبس ، أو يعتورها نوع من الركاكة  
والضعف ، وتخللها الألفاظ الغريبة . غير أنه دائماً أستاذ  
موضوعه ، يمتاز دائماً بالبيان القوي الشائق .

- ٢ -

ترك ابن خلدون سيرة حياته مكتوبة بقلمه . وليس ابن خلدون  
أول من ترجم نفسه من الكتاب والمفكرين المسلمين . فكثير منهم  
ترجم نفسه ولا سيما المحدثين . ومن الأدباء والمؤرخين الذين  
ترجموا أنفسهم ياقوت الحموي في كتابه « معجم الأدباء » ولسان  
الدين بن الخطيب معاصر ابن خلدون وصديقه في كتابه « الإحاطة  
في أخبار غرناطة » ومعاصره الحافظ ابن حجر في كتابه « رفع  
الإصر عن قضاة مصر » والسيوطي في كتابه « حسن المحاضرة » .  
ولكن هؤلاء جميعاً يضعون عن أنفسهم تراجم موجزة . أما  
ابن خلدون فهو أول مفكر مسلم يخصص لنفسه ترجمة مستفيضة  
تشغل كتاباً بأسره ، ويحدثنا بصراحة عن كثير من أعماله وأحواله  
التي لا يحسن الحديث عنها . وابن خلدون يعتبر بحق نفسه شخصية  
من شخصيات التاريخ تستحق سيرتها التدوين والترجمة ، فقد لبث  
نحو ثلث قرن شخصية بارزة في الدول المغربية المعاصرة ، يؤثر  
بأعماله ونفوذها في تطوراتها ومصايرها ، فتاريخه في الواقع قطعة من

تاريخ هذه الدول لا يمكن إغفالها .

كتب ابن خلدون إذا ترجمة نفسه في عدة فصول مستفيضة وجعلها ذيلاً لمؤلفه التاريخي . وتعرف هذه الفصول بالتعريف ، وهو العنوان الذي اختاره ابن خلدون لأول فصل منها وهو : « التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب » وتشغل من المجلد السابع من تاريخه نحو مائة صفحة من القطع الكبير<sup>(١)</sup> . ويحدثنا ابن خلدون في « التعريف » عن نسبه وتاريخ أسرته مذ قدمت إلى الأندلس واستقرت في إشبيلية حتى نزوحها إلى المغرب وما ساهم به زعمائها في حوادث الأندلس ، وما انتهوا إليه من رفيع المناصب والنفوذ حتى أيام الطوائف . ثم يحدثنا عن نشأته وتربيته الأولى وما قرأ ودرس من الكتب والعلوم ، وعن شيوخه الذين تلقى عنهم ، ويترجم لنا كثيرا منهم . ثم يتناول سيرة حياته العامة ، مذولى توقيع العلامة لأبي اسحاق سلطان تونس سنة ٧٥٢ هـ ، ويحدثنا بإفاضة عن اتصاله بأمراء المغرب ودوله ، وتقلبه في قصور تونس وبجايه وتلمسان وفاس ، وعما انتهى إليه من النفوذ في هذه القصور والدول وهو فتى في عتفوانه لم يجاوز الثلاثين ، وعما أصابه مرارا من محن الإعتقال والتشريد ، ثم عن رحلته إلى الأندلس واتصاله بملك غرناطة ووزيره ابن الخطيب ، وسفارته إلى ملك قشتاله وزيارته لإشبيلية موطن أسرته الأول ، وكيف نشب الحفاء بينه وبين ابن الخطيب وملك غرناطة ، فارتد إلى المغرب يتقلب في خدمة أمرائه ودوله حتى انتهى كرهة أخرى إلى بلاط تونس فاستقر فيه ، ثم لزم

(١) كتاب العبر — ج ٧ ص ٣٧٩ — ٤٦٢ .

العزلة حيناً وعكف على كتابة مؤلفه حتى أتمه ، ورأى أخيراً أن  
يختتم حياة المغامرة السياسية في تلك القصور المضطربة فغادرتونس  
إلى مصر سنة ٧٨٤ هـ .

ويحدثنا ابن خلدون بعد ذلك عن حياته في مصر واتصاله  
بالسلطان ، وولايته التدريس وقضاء المالكية ، وما كان من سعاية  
خصومه في حقه حتى عزل عن منصب القضاء ، ثم سفره لقضاء  
البحر وعوده إلى مصر لينقطع للتدريس والقراءة ، وليرتد حيناً إلى  
حياة الدعة والعزلة حتى مستهل سنة ٧٩٧ هـ .

وهنا يختتم ابن خلدون فصول « التعريف » بنفسه في النسخة  
المتداولة التي انتهت إلينا . ولكن دار الكتب المصرية تحتفظ  
بنسخة مستقلة من « التعريف » أتم وأوفى عنوانها « التعريف  
بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً » وفي نهايتها أنها نقلت عن نسخة  
المؤلف الأصلية (١) . وفي هذه النسخة عدة فصول أخرى عن  
حياة ابن خلدون في مصر ، يحدثنا فيها بإفاضة عن ولايته  
لوظائف التدريس والقضاء ، وعن سعيه لعقد العلائق بين سلطان  
مصر وسلاطين المغرب ، وعن حوادث مصر الداخلية يومئذ ،  
ثم سفره إلى الشام في ركب الملك الناصر فرج ، ولقائه ملك التتار  
تيمورلنك تحت أسوار دمشق ، وما دار بينهما من الأحاديث ،  
وما وقع في تلك الفترة من حوادث الفتح التتري ، يتخلل ذلك كله  
شروح وتعليقات فلسفية واجتماعية لبعض الظواهر والحوادث  
السياسية على طريقته في المقدمة . ثم يحدثنا بعد ذلك عن عوده

(١) تحفظ هذه النسخة بدار الكتب تحت رقم (١٠٩ م تاريخ) .

الى مصر وعوده الى ولاية القضاء مرارا وتكرارا، وما لقي في ذلك من كيد خصومه وسعايتهم . ويصل ابن خلدون في رواية هذه الحوادث حتى ختام سنة ٨٠٧ هـ اعنى قبيل وفاته ببضعة أشهر فقط ، وتشغل هذه الفصول في النسخة الخطية المشار اليها نحو أربعين صفحة كبيرة<sup>(١)</sup> . وتقع النسخة كلها في مائة وتسع وأربعين صفحة . وفي القسم الأول منها الذى يقابل نسخة التعريف المتداولة زيادات وإضافات كثيرة مما يدل على أن ابن خلدون عاد أثناء مقامه في مصر فتناول ترجمة حياته بشئ من التنقيح والتهذيب .

وهذا « التعريف » الذى يتركه لنا ابن خلدون عن نفسه وحوادث حياته ، قطعه فريدة في الأدب العربى ؛ فهو صورة قوية ممتعة لتلك الشخصية الممتازة الجريئة ، رسمت في كثير من الحرية والصراحة حتى انها لتفصح في كثير من المواطن عن خواص صاحبها النفسية ، وليست هذه الخواص دائما مما يحمد أو مما تقر الأخلاق الفاضلة . فهناك الكبرياء ، والزهو ، والأثرة ؛ وهناك الطمع وحب التقلب ، وشغف الدس ، واتباز الفرص بأى الوسائل ؛ ثم هناك الجحود ونكران الصنيعة ؛ هذه كلها نلمحها من آن الى آخر ماثلة في أعمال المؤرخ ومواقفه حسبما يقصها علينا بنفسه . ولكن

---

(١) تشغل هذه الفصول في النسخة الخطية من ص ١٠٧ الى ص ١٤٩ . وهذا بيانها كما أوردها ابن خلدون : ولاية الدروس والخوانق . ولاية خانقاه بيبرس والعزل منها . فتنة الناصرى . السعاية في المهادة والإلحاق بين ملوك المغرب والملك الظاهر . سفر السلطان الى الشام لمدافة الظفر ( التتار ) عن بلاده . لقاء الأمير تمر ( تيمور ) سلطان المقل والظفر .

هذه الخلال السيئة لا تبعد كثيرا عن خواص الشخصية الممتازة، بل هي في الغالب خلال السياسة القوية الظافرة أو هي بعبارة أخرى مقومات السياسة «الميكافيلية» التي تتبوأ مكانتها بين مذاهب السياسة الحديثة. ثم هي تفرق في الوقت نفسه بكثير من خواص العبقرية ومميزاتها؛ فهناك الى جانبها، نرى الجرأة والإقدام وقوة النفس والثبات والجلد، ونرى وفرة الذكاء والدهاء وبعد النظر، ونرى قوة التأثير والإقناع، ونرى الفصاحة والبيان الساحر؛ هذه الخلال البديعة كلها أيضا مما نستشف ونشهد في أعمال ابن خلدون ومواقفه. وفي هذا وذاك يحدثنا المؤرخ بصراحة وحرية وبساطة تحمل على الإعجاب.

ثم هنالك الجانب القصصى الشائق. وتلك الغمار الخطرة التي تتخلل حياة المؤرخ، ليست مما يقع في حياة الرجل العادى. فهو يجوز من قصر إلى قصر، ويجوز مخاطر النعمة والاعتقال والمطاردة، ويقضى حياته السياسية في توجس مستمر؛ ويسير في ركب الجند ويمثل الى جانب أميره في المعارك الحربية، ويقوم بقضاء المهام الخطرة في أعماق الهضاب والصحارى. ونراه في دمشق في السبعين من عمره يخوض مخاطر جديدة، وينزل من أبراج المدينة المغلقة مدلى بجبل ويقصد الى معسكر الفاتح في جرة؛ ونراه في مصر يقارع خصومه ويغالبهم رغم انفراده وكثرتهم، ويفوز عليهم في ميدان النضال أكثر من مرة. أليست لهذه الحياة العنيفة الشائقة روعتها وسحرها؟ إنا لنذكر حين نقراً «تعريف

ابن خلدون» تلك الترجمة الشهيرة التي تركها لنا بنفونوتو تشليني<sup>(١)</sup> عن حياته الغربية . فهناك شبه عظيم بين السيرتين رغم اختلافهما في النوع ، وكتاهما تفيض بمواطن الجرأة والمخاطرة ومواطن الإفضاء والصراحة . وإذا كانت ترجمة الفنان الايطالى تعتبر في الأدب الغربى ، نموذجا بديعا للترجمة الشخصية ، وقطعة رائعة من العرض الساحر والقصص الشائق ، فإن «تعريف» ابن خلدون يتبوأ مثل هذه المكانة في أدبنا العربى .

— ٣ —

لم يصلنا من تراث ابن خلدون سوى مؤلفه التاريخى أعنى كتاب العبر، والتعريف . ولكن ابن الخطيب يذكر لنا فى ترجمته لابن خلدون فى كتاب «الإحاطة فى أخبار غرناطة» ثبنا آخر لآثار ابن خلدون، فيقول لنا إنه «شرح اليردة شرحا بديعا، ونلخص كثيرا من كتب ابن رشد، وعلق للسلطان أيام نظره فى العقليات تقييدا مفيدا فى المنطق ، ونلخص محصل الامام نجر الدين الرازى . وألف كتابا فى الحساب ، وشرع فى شرح الرجز الصادرعنى فى أصول الفقه بشئ لا غاية فوقه فى الكمال»<sup>(٢)</sup> وقد كتب ابن الخطيب هذه الترجمة قبل أن يضع ابن خلدون مؤلفه التاريخى بأعوام كثيرة،

(١) بنفونوتو تشليني Cellini (١٥٠٠ — ١٥٧١) رسام وحفار وصانع ايطالى شهير خاض غمار حياة غربية فياضة بالجرأة والمخاطرة، وترك لنا ترجمة نفسه فى مجلد ضخيم . وتعتبر ترجمته من ابداع آثار عصر الاحياء .

(٢) نفع الطيب (بولاق) ص ٤١٩ — وينقل المقرئ ترجمة ابن الخطيب لابن خلدون كلها (ج ٤١٤ — ٤٢٦) .

ولذا لم يذكره في هذا الثبت . على أن شيئا من تلك الآثار  
أو الرسائل لم يصلنا ، بل يظهر أنها لم تكن ذائعة معروفة فلم تذكر  
التراجم المصرية المعاصرة عنها شيئا ، والظاهر أيضا أنها لم تكن من  
الأهمية بمكان حتى أن ابن خلدون نفسه لا يشير إليها في التعريف  
بشيء .

---

# الفصل الرابع

## ابن خلدون والنقد الحديث

أول عهد البحث الغربي بابن خلدون . المباحث الأولى عنه وعن مؤلفه . نشر المقدمة وترجمتها . ظهور نظرياته وآرائه . رسالة فون كريمر عنه . ابن خلدون مؤرخ الحضارة الإسلامية . تعليق الأستاذ شميت على هذا الوصف . رأى دى بوير . ابن خلدون والفيلسوف . ابن خلدون الاجتماعي . تحليل العلامة جملوقتش لنظريات ابن خلدون الإجتماعية . فريرو وليقين . تقدير الأستاذ مونيه للمقدمة . فلسفة ابن خلدون الوضعية . تشاوم ابن خلدون . رأى فون فيسندنك في تطبيق نظرياته على التاريخ الحديث . ابن خلدون الاقتصادي . تحليل الأستاذ كلوزيو لنظرياته الاقتصادية . رسالة الأستاذ شميت . تقديره لابن خلدون كمؤرخ وفيلسوف للتاريخ واجتماعي .

يرتفع النقد الغربي بتراث ابن خلدون الى أسمی مكانة . وقد عرف التفكير الغربي قبيل ابن خلدون طائفة كبيرة من المفكرين المسلمين لم يرتفع كثير منهم إلى مكانته ، وعرف قبله كثيرا من المؤرخين المسلمين ، لا لأنهم أجدر بالبحث والتعريف ، ولكن لأنهم ظهوروا في عصور الاسلام الفتية الزاهرة أو لأنهم تناولوا نواحي عنى بها التفكير الغربي<sup>(١)</sup> . ولكن ابن خلدون ظهر في عصر

(١) عرف الغرب مؤرخين مثل المسعودي وأبي الفدا وابن العبري وابن خلدان وابن عربشاه قبل ابن خلدون بعصور طويلة ؛ وترجمت بعض مؤلفاتهم الى اللاتينية . ونشر تاريخ ابن العبري وتاريخ ابن عربشاه (تاريخ تيمور) في انكلترا بنصها العربي منذ منتصف القرن السابع عشر .

سرى فيه الإنحلال إلى صولة الإسلام وسيادته، واطمحل التفكير الإسلامي، فلم يكن أجدر العصور بالتعريف والبحث. ولبث تراث ابن خلدون مغموراً في الشرق والغرب مدى قرون، يكاد الشرق يجهله، ولا يعرف الغرب شيئاً عنه. وفي سنة ١٦٩٧ م ظهرت عنه في موسوعة «در بلو» الشرقية أول ترجمة غربية<sup>(١)</sup>. وهي ترجمة موجزة فياضة بالخطأ. ومضى بعد ذلك أكثر من قرن قبل أن يعنى التفكير الغربي بشأنه، حتى نشر المستشرق الفرنسي سلكستردى ساسي سنة ١٨٠٦ ترجمة ابن خلدون مع ترجمة فرنسية لفقرات من المقدمة في قاموسه *Chrestomathie Arabe* ثم نشر بعد ذلك بأعوام ترجمة لمقتطفات أخرى من المقدمة. وعاد فنشر سنة ١٨١٦ ترجمة أوفي لابن خلدون في قاموس التراجم العام *Biographie Universelle* مع وصف مسهب لمقدمة ابن خلدون. وفي نفس الوقت نشر المستشرق النمساوي فون هامار رسالة بالألمانية عن «اضمحلال الإسلام بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة»<sup>(٢)</sup>، تعرّض فيها لبعض نظريات ابن خلدون في انحلال الدول، ووصفه بأنه «مونتسكيو العرب». ونشر بعد ذلك ترجمة ألمانية لبعض مقتطفات من المقدمة، ثم نشر وصفا لبعض أجزاء المقدمة في «المجلة الآسيوية»<sup>(٣)</sup>. واستمرّ دي ساسي

D'Herbélot : Bibliothèque Orientale. (١)

Von Hammer - Purgstall : Ueber den Verfall (٢)  
des Islams nach den ersten drey Jahrhunderten der  
Hidschat (1812).

Journal Asiatique (1822). (٣)

وبعض زملائه المستشرقين على نشر مقتطفات مترجمة من مقدمة ابن خلدون أو تاريخه، والبحث الغربي فيما بين ذلك يزداد اهتماما بابن خلدون وتراثه، وإعجابا بقوة تفكيره وطرافته، حتى نشر كاترمير مقدمة ابن خلدون كاملة بنصها العربي سنة ١٨٥٨، ونشر دي سلان بعد ذلك ببضعة أعوام ترجمة فرنسية كاملة للمقدمة، وعندئذ ظهر ابن خلدون للتفكير الغربي في روعة ابتكاره، وظهرت قيمة ذلك التراث الباهر الذي غمره النسيان مدى عصور.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر يعني النقد الغربي بابن خلدون ونظرياته الاجتماعية عناية خاصة. كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافا علميا حقا، وكان أعجب ما في هذا الاكتشاف أن يظفر الغرب في تراث المفكر المسلم، بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي لم يطرقتها البحث الغربي إلا بعد ابن خلدون بعصور طويلة. أجل اكتشاف النقد الغربي لدهشته وإعجابه في تراث ابن خلدون كثيرا مما رددته ميكافيللي بعده بقرن، وما رددته فيكو ومونتسكيو، وأدم سميث، وأوجست كونت<sup>(١)</sup> بعده بقرون. وكان المعتقد أن البحث الغربي أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ، ومبادئ الاجتماع، وأصول الاقتصاد

---

(١) ميكافيللي مؤرخ وسياسي إيطالي (١٤٦٩ - ١٥٢٧). وفيكو مؤرخ وفيلسوف إيطالي (١٦٦٨ - ١٧٤٤) ومونتسكيو مشرع وفيلسوف واجتماعي فرنسي (١٦٦٩ - ١٧٥٥) وأدم سميث اقتصادي إنكليزي (١٧٢٣ - ١٧٩٠) وأوجست كونت فيلسوف فرنسي وهو واضع أصول الفلسفة الوضعية (١٧٩٨ - ١٨٥٧).

السياسي ، فإذا بابن خلدون يسبقه بعصور و يغزو في مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيرا من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة . ومن ثم فإننا نرى النقد الغربي ، بعد أن اكتشفه ودرسه ، يرتفع بترائه إلى أسمى مكانة ، وينظمه في سلك الفلاسفة ومؤرخي الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسي ، بل ويعترف له بفضل السبق في هذه الميادين .

- ١ -

كانت الناحية التاريخية الفلسفية في تفكير ابن خلدون أول ما عني النقد الغربي بدرسه ، ولكن الناحية الاجتماعية ما لبثت أن لفتت أنظار طائفة من علماء الاجتماع ، وأخذت تتفوق على ما عداها من نواحي تفكيره . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر نرى نظريات ابن خلدون الاجتماعية تشغل فراغا كبيرا في النقد المعاصر ، ويتناولها حتى يومنا طائفة من النقدة الاجتماعيين بالدرس والتحليل المقارن .

وكان في مقدمة من درس تراث ابن خلدون من الناحية التاريخية الفلسفية المستشرق النمساوي الكبير البارون فون كريمر ، فكتب عنه بالألمانية رسالته الشهيرة « ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدول الإسلامية »<sup>(١)</sup> وقدمها لأكاديمية العلوم بثينا سنة ١٨٧٩ . ويعتبر فون كريمر ابن خلدون مؤرخا للحضارة Kulturhistoriker يؤرخ حضارة الشعوب الإسلامية ، لأنه

(١) Von Kremer : Ibn Chaldûm und seine Kultur-

من بين المؤرخين المسلمين أول من خصص فصولا إضافية للتحديث عن النظم السياسية وأنواع الحكم ، والخطط العامة كالقضاء والشرطة والإدارة وتطورها في الدول الإسلامية ، وعن النظم الاقتصادية والتجارة والمكوس والضرائب ، وعن المهن والحرف والصنائع ووجوه الكسب المعاش ؛ ثم عن العلوم والفنون والآداب وأصنافها وأحوالها وتطورها في العالم الإسلامي وهو اعتبار صادق من بعض الوجوه فقط لأن ابن خلدون لا يعالج هذه المسائل مستقلة أو لذاتها وإنما يعالجها كصور فقط من هذا العمران الذي هو موضوع بحثه ودرسه . ومراحل الحضارة مقياس لمراحل العمران .

ولم يلق هذا الوصف الذي أسبغنه فون كيرمر على ابن خلدون تأييدا كبيرا من النقدة . ويقول الأستاذ شميت وهو أحدث من درس ابن خلدون وتقده ، في التعليق على هذا الرأي ما يأتي :

« إذا وجب مع بعض التحفظ أن نعتبر ابن خلدون مؤرخا للحضارة ، فيحسن أن نتدبر ما إذا لم يكن قصد ابن خلدون الحقيقي سواء في هذا القسم من مؤلفه أو في تاريخه السياسي هو أن يقدم لنا أمثلة إيضاحية ومجموعة تبين لنا ما يعتبره موضوع التاريخ وجوهره ، لا أن يقدم لنا تطبيقا كاملا للقواعد التي قررها . ذلك أنه في الفصول الأولى من مقدمته يعالج المسائل التي يختلج بها ذهنه ، بمنتهى الإفاضة ، كأصول النقد التاريخي والقواعد الأساسية التي يجب أن يستند إليها البحث التاريخي ؛ ويعالج بالأخص فكرته في فهم التاريخ ومداها وعواملها ونتائجها المنظمة أو قوانينها . ولقد

كانت هذه الفكرة العظيمة المستنيرة في فهم التاريخ بأنه سيجل لتطور الانسان الاجتماعى ، مرتباً على العوامل الطبيعية وناشئاً عن تأثير الوسط وتفاعل الفرد والجماعة ، خليفة بأن تجعل كتابه « مفتوح عهد جديد » لو لم تكن الحضارة التى وصفها صائرة الى الانحلال العاجل ، واللغة التى كتب بها مجهولة من الأمم الفتية التى قدر لها أن تمضى بالمهمة ، بحيث غدا استمرار التقدم العلمى مستحيلًا واضطر بناء الحضارة الجدد أن يشقوا طريقهم ببطء دون المعاونة التى كان بوسعهم أن يقدموها ، الى بعض المراتب السامية التى تبوأها هو من قبل « (١) .

ويعتبر دى بوير (الهولندى) ابن خلدون فيلسوفًا ، ويضعه فى ثبوت الفلاسفة المسلمين الى جانب ابن سينا والغزالي وابن رشد وابن الطفيل ، وينوه بقيمة المنطق فى صوغ نظرياته ، ويصفه بأنه مفكر متزن ، فهو ينكر ثمرة الكيمياء والعرافة بحق ، وكثيراً ما يعارض مبادئ الفلسفة العقلية ، بمبادئ الاسلام البسيطة سواء عن اعتقاد شخصى أو لاعتبار سياسى . بيد أن الدين لم يؤثر فى آرائه العلمية بقدر ما أثرت الأرسطوطالية الأفلاطونية . وقد أثرت فى تكوين ذهنيته جمهورية أفلاطون وفلسفة فيثاغورس الأفلاطونية ، وكذلك المؤلفات التاريخية لأسلافه المشاركة ولاسيما المسعودى ، أيما تأثير . وقد حاول ابن خلدون أن يؤسس نظاماً فلسفياً جديداً لم يجعل بذهن أرسطو ، وأن يجعل من التاريخ نظاماً فلسفياً ، وهو

N. Schmidt : Ibn Khaldun, Historian, Sociologist (١)  
and Philosopher (New-York 1930) p. 15-16.

يقول لنا إن هذا النظام إنما هو الحياة الإجتماعية، ومادة المجتمع كلها وثقافته الفكرية . ومهمة التاريخ هي أن يبين كيف يعمل الناس وكيف يحصلون أقواتهم ، ولماذا يقاتلون بعضهم بعضا ، وكيف يجتمعون في جماعات كبيرة في ظل بعض الزعماء ، وكيف يُلهمون أخيرا في ظل حياة الحضرة رغبة العناية بالفنون والعلوم الرفيعة ، وكيف تتقدم الحضارة من البداية الخشنة الى الترف الناعم وتزدهر ، ثم تضمحل وتموت . ثم يقول دى بوير إن ابن خلدون هو بلا ريب أول من حاول أن يشرح بإفاضة تطور المجتمع وتقدمه لأسباب وعلل معينة ، وأن يعرض ظروف الجنس والإقليم ووسائل الإنتاج وما إليها، وأثرها في تكوين ذهن الإنسان وعاطفته وفي تكوين المجتمع . وهو يرى في سير الحضارة تناسقا داخليا منظما . ويختتم دى بوير حديثه عن ابن خلدون بما يأتي : « لقد سار أمل ابن خلدون في أن يخلفه من يتم بحشه في سبيل التحقيق ، ولكن في غير الإسلام ، فكما أنه كان دون سلف ، فكذلك بقى دون خالف » (١) .

— ٢ —

بيد أن النقد الغربي كان أكثر اهتماما بفلسفة ابن خلدون الإجتماعية . وقد لقي ابن خلدون من هذه الناحية ذروة الإعجاب والتقدير ، وعنى كثير من علماء الاجتماع المعاصرين بتحليل نظرياته الاجتماعية ومقارنتها بنظريات أقطاب الاجتماع المحدثين .

T. J. de Boer : Geschichte der Philosophie im (١)

Islam (1901). pp. 177-184.

ومن هؤلاء النقدة العلامة الإجتماعى لدفيج جبلوقتش ، فهو  
يخصص لابن خلدون فى مباحثه الإجتماعية فصلا كبيرا ، ويصفه  
بأنه إجتماعى أو من علماء الاجتماع ، ويتناول طائفة من آرائه  
الإجتماعية بالتحليل والمقارنة ، ويبين أنه قد سبق فى كثير من هذه  
الآراء أقطاب الاجتماع المحدثين . فهو مثلا قد اهدى الى نظرية  
الأجيال الثلاثة الخاصة بنهوض الأسر وانحلالها قبل أن يعرضها  
أوتوكار لورنتس فى أواخر القرن التاسع عشر . ويقول جبلوقتش  
إن ابن خلدون يرتفع الى ذروة البحث الإجتماعى حينما يعرض  
ملاحظاته عن تفاعل الجماعات الإجتماعية ، وكيف أن هذه الجماعات  
نفسها إنما هى ثمرة الوسط . وآرائه فى هذا المقام عن الأجناس  
الغالبة فى منتهى الأهمية . وفى أقواله عن الوسط ومؤثراته ما يدل  
على أنه عرف « قانون التشبه بالوسط » قبل أن يعرفه داروين<sup>(١)</sup>  
بخمسة قرون ؛ وفيما يقوله عن تشبيه الإنسان بالحيوان فى الخضوع  
للقوانين الإجتماعية العامة ما يدل على أنه عرف مبدأ « وحدة المادة »  
قبل أن يعرفه هيكل<sup>(٢)</sup> . ومن المدهش أن نرى كم تتفق الاجراءات  
التي ينصح ابن خلدون باتخاذها للفاتحين الظافرين لى يؤيدوا  
سلطانهم ، مع النظم الحربية التي أثبت البحث التاريخى الحديث أن  
مؤسسى الدول الأوروبية فى العصور الوسطى قد اتخذوها ، بل إن

(١) داروين Darwin علامة طبعى انجليزى اشتهر بمباحثه عن أصول  
الانسان والأنواع ، ومؤثرات الوسط (١٨٠٩ — ١٨٨٢) .

(٢) إرنست هيكل علامة بيولوجى وطبعى المانى اشتهر مثل داروين بمباحثه  
عن أصول الأنواع وله فيها نظريات جديدة (١٨٣٤ — ١٩١٩) .

فضل السبق يرجع بحق الى العلامة الاجتماعي العربي (ابن خلدون) فيما يتعلق بهذه النصائح التي أسداها مكيا فيللي بعد ذلك بقرن الى الحكام في كتابه «الأمير» . وحتى في هذه الطريقة الجافة لبحث المسائل وفي صبغتها الواقعية الخشنة ، كان من المستطاع أن يكون ابن خلدون نموذجا للايطالي البارع الذي لم يعرفه بلا ريب . هذا وقد استطاع ابن خلدون أن يقرر منذ خمسة قرون أصل السلطتين الروحية والزمنية ، كما يقررها أساتذة القانون السياسي والقانون الكنسي .

وأخيراً يقول جمبلو قتش : « لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كونت ، بل قبل فيكو الذي أراد الايطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوربي ، جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأتى في هذا الموضوع بأراء عميقة ، وما كتبه هو ما نسميه اليوم : علم الاجتماع » (١) .

وفي نفس الوقت الذي أدلى فيه جمبلو قتش بهذه الآراء تناول تفكير ابن خلدون باحث اجتماعي ايطالي هو فريرو فأيد وصف جمبلو قتش لابن خلدون بأنه «اجتماعي» ونوه بطرافة ابن خلدون وسبقه في هذا الميدان (٢) . ويوافقهما في ذلك الكاتب الاجتماعي الروسي ايخين فيعتبر ابن خلدون فيلسوفا «اجتماعيا» .

ودرس مسيومونيه استاذنا السابق بكلية الحقوق ، ابن خلدون

---

L.Gumplovicz: Un Sociologue arabe au XIV siècle (١)  
(dans Aperçus Sociologiques) pp. 201-226.

A. Ferreiro : Un Sociologo arabo del secolo XIV (٢)

(La Riforma Sociale) 1896.

من الناحيتين الإقتصادية والاجتماعية في بحثين قويين ، يتناول في أولها آراء ابن خلدون الإقتصادية<sup>(١)</sup> وفي الثاني آراءه الاجتماعية ، ويعتبره فيلسوفا واقتصاديا واجتماعيا معا . ويصف مقدمته وتفكيره بما يأتي : « انها مزيج عظيم من القوانين الكونية ، وهوسوعة لعلوم العصر ، وتحتوى على أجزاء متفرقة لبحث كامل في علم الاجتماع . وطريقتها بالأخص بدیعة تدلل على ذهن علمي حق . واذا كانت آراء ابن خلدون لا تعبر عن مثل وضعي أعلى ، فهي مع ذلك تقوم على الملاحظة التحليلية للحوادث ، وهي مرآة الواقع . وليست فلسفته سوى شرح وتعليل لتاريخه ، وشروحه تشهد بذهنية وضعية كان فيلسوفنا يسبق بها عصره » . ثم يحلل مسيو مونييه نظريات ابن خلدون الاجتماعية ويقسمها الى قسمين هما : القوانين العامة للحياة الاجتماعية ، وقوانين التطور الاجتماعية ؛ ويصفها بقوله : « واذا فإن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية يغشاها على ما يظهر استنتاج بالغ التشاؤم . فالمجتمع ليس إلا لحظة في مجرى الأشياء الكوني ، وهو يفنى كما يفنى كل شيء . والحياة كالتوى ، وكل تغيير يقتضى عكسه ، وكل ارتفاع يعقبه سقوط ... ولكن تشاؤم ابن خلدون تشاؤم مستسلم غير مكترث ، فهو لا يحكم وإنما يشاهد . وهو بذلك يدل على ذهنية علمية حقة ، وبذا يجب أن يفسح له مكان في تاريخ الاجتماع الوضعي »<sup>(٢)</sup> .

(١) René Maunier : Les idées économiques d'un philosophe arabe (Revue d'histoire économique et sociale, 1912).  
(٢) Maunier: Les idées sociologiques d'un philosophe arabe au XIV siècle (l'Égypte contemporaine 1917, p. 31)

وينوه معظم نقدة ابن خلدون بهذا التشاؤم الذي بطبع فليسته  
ويقول لنا فون كيرمر إن ابن خلدون يذهب في تشاؤمه الى حدود  
بعيدة، ويقارنه في ذلك بأبي العلاء المعري . ويعتقد أن مصدر  
هذه العاطفة هو انحطاط الدول والحضارة الإسلامية في العصر  
الذي كتب فيه ابن خلدون . ولكن فريرو يرجعها الى ظروف  
الحياة السياسية العاصفة التي تقاب فيها ابن خلدون، وما بثت الى  
نفسه من مرارة وخيبة أمل . على أن كثيرا من الناحية الواقعية  
لفلسفة ابن خلدون يرجع الى هذه العاطفة، ولم يكن تشاؤمه نزعة  
شخصية كامنة في أخلاقه، ولكنه صفة لتفكيره فقط، ونتيجة  
للبحث والدرس . أما ابن خلدون نفسه، فكان كما تدل حوادث  
حياته أكثر ميلا الى الثقة والابتهاج والتفاؤل .

ويدرس الكاتب الألماني فون فيسندنك نظريات ابن  
خلدون في نشوء الدول وانحلالها، ويرى فيه ذهنا وافر الابتكار،  
ومشلا أعلى في التفكير العربي وآخر نجم سطع في أفق التفكير  
الإسلامي الحر . ويعتبره مثل فون كيرمر مؤرخا للحضارة  
Kulturhistoriker؛ ويرى فيه بحق إماما لمدرستي ميكا فيللي  
وثيكو؛ ويحاول أن يطبق نظرياته في سقوط الدول والأسر على  
الامبراطورية الألمانية والدول الأوروبية فيقول: «وقديلوخ للالماني  
في الوقت الحاضر أن هذه الآراء الفياضة بالتشاؤم ليست من  
ابتكار مفكر اجنبي، فإن الامبراطورية الألمانية لم تعمر طويلا  
ثم ذوى غصنها غضبا الى عالم الفناء بسرعة خارقة، فهل يجب أن  
نبحث لتلك المأساة عن أسباب غير تلك التي أوردتها الكاتب

العربي عن سقوط المرابطين والموحدين؟ ان نظريات ابن خلدون تقدم الى المتأمل فرصة صادقة؛ يقف مؤرخ الحضارة المسلم الكبير وحيدا في المشرق، لم يعقبه خلف ولم ينسج على منواله ناسج؛ ويُطبق ما كان يشعر به أو يدعو اليه على أوروبا في القرن التاسع عشر أصح تطبيق وأتمه. وتدوى ميول المفكر والسياسي الإفريقي في معترك الحوادث مهما كانت وجهتها، دوبا يتردد صدها في عالم أفكار عصرنا» (١).

— ٣ —

درس الأستاذ استفانو كلوزيو ابن خلدون من ناحية أخرى هي الناحية الإقتصادية. ويرى كلوزيو بادئ بدء «ان ابن خلدون من حيث الجنس الذي انحدر منه، والبلد الذي ولد فيه، والحضارة التي ينتمى إليها، يمكن أن يوضع في صف عظماء الرجال الذين يتبأون في التاريخ أسمى مكانة». وقد اكتشف ابن خلدون آفاقا جديدة في ميدان العلوم الإجتماعية. ولكنه لا يجارى ميكا قبلي كمؤرخ، لأنه لم يعرف أو لم يرد أن يطبق المبادئ التي عرضها في مقدمته لشرح أسباب الحوادث التي يقصها في تاريخه. ومع ذلك فقد سبق ميكا قبلي ومونتسكيو وبيكو، الى وضع أصول علم جديد هو الدرس النقدي للتاريخ. وتلك حقيقة نوه بها أماري المستشرق والمؤرخ الايطالي الكبير قبل كلوزيو فوصف ابن

---

Von Wesendonk : Ibn Khaldûn, Ein arabischer (١)  
Kulturhistoriker des XIV Jahrhunderts (Deutsche Rund-  
schau, Januar 1923).

خلدون بأنه أول كاتب في العالم عالج موضوع « فلسفة التاريخ ». ثم يحلل كلوزيو نظرية ابن خلدون في « الجبر الاجتماعى » ويرى أنها موجودة في تلك العبارة التى يستهل بها ابن خلدون حديثه عن أجيال البدو والحضر وهى : « ان اختلاف الأجيال فى احوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش »<sup>(١)</sup> .

على أن كلوزيو ينوه بالأخص بنظريات ابن خلدون الإقتصادية ، فيقول لنا « ان المؤرخ البربرى العظيم استطاع فى العصور الوسطى أن يكتشف مبادئ العدالة الإجتماعية والاقتصاد السياسى قبل كونسيديران وماركس وباكونين »<sup>(٢)</sup> ثم يحلل آراء ابن خلدون عن عمل الدولة من الناحية الإقتصادية وآثاره السيئة، وعن القوى السياسية والطوائف الإجتماعية، وعن طرق الملك وأنواع الملكية، وعن مهمة العمل الإجتماعية، وتقسيم العمل الى حر وماجور، وكون العمل الحر مصدرا للرزق (المعاش) ثم عن قانون العرض والطلب . ويرى كلوزيو فى ذلك كله أن ابن خلدون كان اقتصاديا مبتكرا يعرف مبادئ الإقتصاد السياسى ويطبقتها بذكاء وبراءة قبل أن يعرفها البحث الغربى بمصـور طويلة . ويختتم بحثه بما يأتى : « إذا كانت نظريات ابن خلدون

(١) المقدمة : ص ١٠١

(٢) كونسيديران اشتراكى فرنسى له عدة مؤلفات فى الاشتراكية (١٨٠٨ —

١٨٩٣) . وكارل ماركس اقتصادى واشتراكى المانى كبير ومؤسس الاشتراكية

المنطرفة ، ومؤلف أعظم كتاب فى الاشتراكية (رأس المال) ، (١٨١٨ — ١٨٨٣) .

وباكونين اجتماعى واقتصادى روسى ومؤسس مبدأ اللاحكومية (١٨١٤ — ١٨٧٦) .

عن حياة المجتمع المعقدة تضعه في مقدمة فلاسفة التاريخ ، فإن فهمه للدور الذي يؤديه العمل والملكية والأجور يضعه في مقدمة علماء الإقتصاد المحدثين» (١) .

— ٤ —

ومن أحدث البحوث النقدية في دراسة ابن خلدون رسالة للأستاذ ناتانيل شميت الأستاذ بجامعة كورنل بأمریکا، درس فيها ابن خلدون كمؤرخ وفيلسوف واجتماعي (٢) . ويرى الأستاذ شميت أن ابن خلدون كمؤرخ يمكن أن يوضع في صف مؤرخين عالمين مثل ديودور الصقلي ، وتقولاوس الدمشقي أو تروجوس پومبيوس ممن كتبوا في القرن الأول الميلادي ، أو مؤلفين من كتاب القرن الثامن عشر مثل جاتيرر وشلتسر، هذا مع كونه يتفوق عليهم سواء في الانتفاع بالمصادر القديمة أو في الرواية الأصلية ، ولو أن ابن خلدون لم يخلف لنا سوى تاريخه السياسي ، لكان أثره ينبي عن همة لا تنفد ، وغزارة في المصادر ، وحكم سديد ، ولكان بالنسبة لبعض العصور مصدرا نفيسا للرجوع ، بل لكان في عدوله عن طريقة الحوليات ما يرفعه بكثير عن مستوى رجال مثل البخاري والمسعودي والطبري وابن الأثير . على أن حق ابن خلدون في الشهرة الخالدة لا يرجع الى تاريخه بل يرجع الى ذلك الأثر المدهش الذي كتبه مقدمة لتاريخه ، فهنا تبدو عبقريته في روعة

S. Colosio: Contribution à l'étude d'Ibn Khaldoun (١)

(Revue du Monde musulman ; XXVI - 1914).

N. Schmidt: Ibn Khaldûn: Historian, Sociologist (٢)

and Philosopher.

بهائها، وهنا ينثر بيدين نديتين ثمرات تأملاته الناضجة عن سير التاريخ البشرى .

وأما من حيث فلسفة التاريخ فيرى الأستاذ شमित أن ابن خلدون هو الذى اكتشف ميدان التاريخ الحقيقى وطبيعته؛ وهو بلا ريب صادق حين يقول إن أحدا من المفكرين المسلمين قبله لم يطرق موضوعه، وإذا كانت معرفتنا بعلوم القدماء أعظم وأغزر، فإننا مع ذلك نستطيع اليوم أن نقول إن ابن خلدون كان بحق أول كاتب استطاع أن يعترف موضوع التاريخ بهذه الصورة، وأن ينظر الى التاريخ كعلم خاص يبحث فى الحقائق التى تقع فى دائرته . بل لم يقل أحد غير ابن خلدون إن التاريخ علم خاص موضوعه بحث جميع الظواهر الاجتماعية فى حياة الإنسان . فإذا كان يجدر بنا أن نتوسع فى فهم التاريخ الى هذا الحد، وإذا كان التاريخ علما، فإن التونسي العظيم الذى ابتكر هذا الرأى ودافع عنه ليس له سلف فيما يظهر، ومن حقه أن يعتبر أنه المكتشف . وهنا بلا ريب أروع ابتكاراته وأكثرها طرافة، وإن كان ذهنه النافذ قد شق طرقا جديدة فى نواحى كثيرة . وقد لاحظ ابن خلدون فى دراسة الدول وقيامها وسقوطها أن أسباب هذه التطورات لا ترجع فقط الى البواعث والأطماع، والى الأغراض والغايات، والى قوة الإرادة، وقوة الذهن لدى الأفراد؛ ولاحظ أن تأثير هذه العوامل لا يخضع فقط لخواص الجماعات التى تنتمى اليها، ولكنها تخضع أيضا للظروف الاجتماعية العامة . وقد حمل ذلك على أن يبحث العوامل التى تؤثر فى هذه الظروف الاجتماعية وتكيفها، وانتهى الى

أنها ترجع الى خواص قومية وجنسية . ولكنه لاحظ أيضا أن هذه الخواص نفسها ترجع الى مؤثرات الوسط الطبيعية كالأقليم ، والماء ، والأرض ، والموقع ، والغذاء . وإذا فمن الضروري لكي نفهم التطور السياسي ، أن ندرس كل مظاهر الحياة الاجتماعية ؛ ولكي نفهم هذه يجب أن نحسب حسابا للعوامل الطبيعية ، ومن ثم كان اتساع نطاق التاريخ ، واتساع مهمة المؤرخ ، إذ يغدو التاريخ علم المجتمع الإنساني ، وإذا فهو علم الاجتماع . ثم يقول الأستاذ شмит إن ابن خلدون رغم طابعه الاسلامي إنما هو فيلسوف مثل أوجست كونت ، وتوماس بيكل وهربرت سبنسر . وفلسفته التاريخية ليست كفلسفة هيجل (١) تحليلا للقضاء والقدر . وإذا كان يذكر خلال بحثه كثيرا من آيات القرآن ، فليس لذكرها علاقة جوهرية بتدليله ، ولعله يذكرها فقط ليحمل قارئه على الاعتقاد بأنه في بحثه متفق مع نصوص القرآن .

وأما عن الناحية الاجتماعية ، فإن الأستاذ شмит يرى مع معظم النقدة أن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع ، ويرى بالأخص مع جمبلوقتش أن الاجتماع وجد قبل أوجست كونت بعصور طويلة ، وأن ابن خلدون ذهب في تفكيره الى حدود لم يذهب اليها كونت ، وأنه فيما عالج من خواص العادة والأقليم ، والأرض ،

---

(١) توماس بيكل كاتب ومؤرخ اجتماعي انكليزي ، وله مؤلف شهير في تاريخ الحضارة الانكليزية (١٨٢١ - ١٨٦٢) وسبنسر فيلسوف انكليزي ومؤسس فلسفة التطور (١٨٢٠ - ١٩٠٣) . وهيجل فيلسوف الماني كبير ، درس فلسفة الدين والروحيات والالهيات (١٧٧٠ - ١٨٣١) .

والغذاء، قد سبق مونتسكيو وبكل وسينسر وغيرهم .

وينقل الأستاذ شमित إلنا هذه الكلمة عن العلامة الإسبانية التاميرا : « كفى أنه في القرن الرابع عشر، حينما كانت دراسة التاريخ الأوروبية في منتهى النقص ومنتهى البعد عن آراء كالتى يعرضها ابن خلدون ويدافع عنها، قد كتب كتاب كالمقدمة، درست فيه وعرضت كل المسائل، التى غدت فيما بعد، أهم مهام المؤرخين المحدثين » (١) .

\* \* \*

ونكتفى بما قدمنا من آراء النقد الغربى فى تراث ابن خلدون وتفكيره؛ ومما تقدم نرى أن النقد الغربى يرتفع بتراث ابن خلدون إلى أسنى مكانة من التقدير والإعجاب، ويضع تفكيره بين أرفع وأنفس ثمرات التفكير البشرى .

---

(١) راجع رسالة الأستاذ شमित المشار إليها ص ١٧ و ١٩ و ٢٢ و ٢٤

و ٢٦ و ٢٧ و ٢٩

# الفصل الخامس

## ابن خلدون ومكافيللي

أوجه الشبه بين مكافيللي وابن خلدون . فلسفة مكافيللي الاجتماعية كما يعرضها في كتاب « الأمير » . صلة مباحثه بموضوع السياسة الملكية الذي عالجها العرب . الناحية العملية الجافة في فلسفته . نماذج من آرائه في خلال الأمير الأمثل . عنصر النسوة والعنف في الفلسفة المكافيلية . التقاء ابن خلدون ومكافيللي في مواطن كثيرة . ابن خلدون أستاذ المدرسة المكافيلية . هل تأثر مكافيللي بتفكير ابن خلدون أو غيره من المفكرين المسلمين . هل يكون الحسن بن الوزان صلة هذا التأثير . بعد هذا الفرض . المفكران كلاهما مبتدع مبتكر .

— ١ —

بعد وفاة ابن خلدون بأكثر من قرن ، وضع نيكولو مكافيللي المؤرخ والسياسي الايطالي<sup>(١)</sup> كتابا يتبوأ في التفكير الغربي مكانة تلك التي تتبوأها مقدمة ابن خلدون في التفكير الاسلامي . ذلك هو كتاب « الأمير » (Il principe) ، وهو كأثر ابن خلدون قطعة بدیعة من التفكير السياسي والاجتماعي ، تمتاز بكثير من القوة والطرافة والابتكار الفائق . واذا لم يك بين الأثرين كثير من أوجه الشبه

(١) نيكولو مكافيللي (Nicolo Machiavelli) كاتب ومؤرخ وسياسي إيطالي كبير . ولد سنة ١٤٦٩ بمدينة فيرنزا (فلورنس) وتوفي به سنة ١٥٢٧ ، واشتغل حيناً سكرتيراً للسياسة الخارجية في حكومة فيرنزا وكلف بعدة مهام سياسية في إيطاليا وفرنسا وألمانيا . ولما عاد آل مديتشي لحكم فيرنزا سنة ١٥١٢ ، قبض عليه بتهمة =

المادى، فان بينهما كثيرا من أوجه الشبه المعنوى، وبين الذهنين بالأخص مشابهة قوية من حيث الظروف والبيئة التى تكوّن كل فيها، ومن حيث فهمه للتاريخ والظواهر الإجتماعية، ومن حيث قوة العرض والاستدلال بشواهد التاريخ .

ونستطيع أن نرجع كثيرا من أسباب هذه المشابهة بين المفكرين العظمين الى تماثل عجيب فى العصر والظروف السياسية والاجتماعية التى عاش كل منهما فيها . فقد كانت الإمارات والجمهوريات الإيطالية التى عاش ميكافيللى فى ظلها تعرض فى إيطاليا نفس الصور والأوضاع السياسية التى تعرضها الممالك المغربية أيام ابن خلدون، من حيث اضطرام المنافسات والحصومات فيما بينها، وطموح كل منها الى افتتاح الأخرى، وتقلب إماراتها ورياساتها بين عصابة من الزعماء والمتغلبين . وقد اتصل ميكافيللى بهذه الدول، وقضى عمرا فى خدمة احداها وهى وطنه فيرنترزا (فلورنس) وانتدب لمهام سياسية مختلفة، واستطاع أن يدرس عن كثب كثيرا من الحوادث والتطورات السياسية التى تعاقبت فى عصره، وأن يجعل من هذا الدرس مادة لتأملاته عن الدولة والأمير، كما جعل ابن خلدون من الحوادث التى عاصرها واشترك فيها مادة لدرسه وتأملاته .

على أن المفكر المسلم أغزر مادة وأوسع آفاقا من المفكر

== الأمر وعذب ثم أفرج عنه بواسطة البابا ليون العاشر . وعندئذ اعتزل الحياة العامة وكتب عدة مؤلفات شهيرة منها كتابه «الأمير» وتاريخ فيرنترزا ومقالات عن ليفى المؤرخ الرومانى؛ وعدة رسائل سياسية وقطع مسرحية .

الاطالى . ذلك أن ابن خلدون يتخذ من المجتمع كله وما يعرض فيه من الظواهر مادة لدرسه ، ويحاول أن يفهم هذه الظواهر وأن يعلمها على ضوء التاريخ ، وأن يرتب على سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة . ولكن ميكائيل يدرس الدولة فقط ، أو يدرس أنواعا معينة من الدول هي التي يعرضها التاريخ اليونانى والرومانى القديم ، وتاريخ ايطاليا فى عصره ؛ ويدرس شخصية الأمير أو المتقلب الذى يحكم الدولة ، وما يلحق بها من الحلال الحسنه أو السيئة ، وما يعرض لها من وسائل الحكم . وهذه الدراسة المحدودة المدى تكون جزءا صغيرا فقط من دراسة ابن خلدون الشاسعة ، هو الفصل الثالث من الكتاب الأقر من المقدمة ، وهو الذى يدرس فيه أحوال الدول العامة والملك والمراتب السلطانية . وحتى فى هذا المدى المحدود يتفوق ابن خلدون على ميكائيل تفوقا عظيما ؛ ويتدع هنا نظرية العصبية ، ونظرية أعمار الدول ، ويتناول خواص الدولة من الناحية الاجتماعية ؛ وان كان ميكائيل من جهة أخرى يتفوق على ابن خلدون فى سلاسة المنطق ، ودقة العرض والتدليل ، ورواء الأسلوب .

كتب ميكائيل كتابه « الأمير » سنة ١٥١٣ وأهداه الى لورنرودى مديتشي « الأنجم » أمير فيرنترا ، وهو يشير الى غرضه من وضع كتابه فى قوله للأمير فى خطاب الإهداء : « ومع انى أعتبر هذا المؤلف غير خلىق بمطالعة محياك ، فإنى أعمد جل الاعتماد على عطفك ورقتك فى قبوله ، فلست أستطيع فى إهدائك خيرا من أن أقدم اليك فرصة لتفهم فى أقصر الأوقات كل ما عرفته

خلال اعوام طويلة، وفي غمار من المتاعب والأخطار» وفي قوله :  
« فتناول يا ذا الفخامة هذه الهدية الصغيرة بنفس الروح الذي  
أرساها به، وإنك اذا قرأته بامعان وتأمل، فسوف تعرف خالص  
رغبتى فى أن تظفر بهذه العظمة التى يبنى بها حسن الطالع وتمنى بها  
خلالك» (١) . وإذن فقد أراد ميكافيللى أن يقدم بكتابه «الأمير»  
مرشدا لأمرء عصره يرشدهم الى أمثل طرق الحكم، وأمثلة  
الوسائل لسيادة الشعوب التى يحكمونها . وميكافيللى يستمد آراءه  
ونظرياته من حوادث التاريخ القديم، وبالأخص من حوادث  
عصره التى شهدها وخبرها، ويرتب عليها أحكاما وقواعد عامة كما  
يرتب ابن خلدون مثل هذه الأحكام والقواعد على دراسته للمجتمع،  
ويبسط ميكافيللى دراسته فى بحوث موجزة، ويبدأ بالحديث عن  
أنواع الإمارات، ووسائل اكتسابها، وعن الوسائل التى تحكم بها  
المدن أو الامارات التى كانت تعيش فى ظل قوانينها قبل أن تغلب،  
وعن الامارات التى تقوم بالفتح وكفريات الأمير الشخصية،  
وعن تلك التى تغتم على يد آخرين أو بطريق الحظ، أو تلك التى  
تغتم بالغدر والحيانة، وعن الامارات المدنية والدينية، وعن أنواع  
الجيوش والجنود المرتزقة، وما يجب أن يعرفه الأمير عن فن  
الحرب . ثم يتناول بعد ذلك شخصية الأمير، وما يُحمد فيه من  
الحلال وما يُذم، وعن الكرم والشح، والرأفة والقسوة، وعن  
الطريقة التى يجب أن يحفظ بها الأمرء وعودهم، وعمما يجب  
عليهم لتجنب بغض الشعب واحتقاره، وما يجب عليهم لاكتساب

(١) كتاب الأمير The Prince الترجمة الانجليزية طبعة إفريمان ص ٢ و ٣

الشهرة والمجد، وأخيراً يتحدث عن حجاب الأمير (سكرتاريته) وعن وجوب تجنب الملقب؛ وعن الأسباب التي فقد بها أمراء إيطاليا دولهم، وعمما يمكن أن يؤديه حسن الطالع في سير الشؤون البشرية، ثم ينتهم بالحث على تحرير إيطاليا من نير الأجانب أو غزوات البرابرة كما يسميهم .

تلك هي المباحث التي جعلها ميكافيللي قوام فلسفته عن الدولة والأمير . ويبدو بالأخص مما كتبه عن «الأمير» أنه يعالج موضوعا عالجه المفكرون المسلمون قبل ابن خلدون بعصور طويلة ، هو موضوع «السياسة الملكية» وهو موضوع ينتظم منذ القرن الثالث الهجري في التفكير الاسلامي الى بحث أو علم خاص ، هو علم السياسة على نحو ما بينا في فصل سابق . وقد رأينا مما تقدم أن «السياسة» كانت تفهم عند العرب في العصور الأولى بمعنى ضيق جدا هو شرح الخلال الحسنة التي يجب أن يتصف بها الأمير، والعيوب التي يجب أن يبرأ منها لكي يصلح لرأسه الدولة وتبوء الملك؛ ولكي يستطيع الحكم بأهلية وكفاية . ثم توسع المفكرون المسلمون في فهم معنى «السياسة» وقسموها الى عدة أنواع ، وتناولوا «السياسة الملكية» من الناحية الفقهية وكذا من الناحية الإدارية، وبحثوا مركز الأمير من الناحية الشرعية، وتحدثوا عن الخطط السلطانية. وظاهر ان ما يتناوله المفكر الايطالي من خواص الأمير وخلاله وواجباته هو ضرب مما تناوله المفكرون المسلمون منذ أواخر القرن الثالث الهجري . من ذلك ما كتبه ابن قتيبة في كتاب «عيون الأخبار» والماوردي في كتاب «الأحكام

السلطانية» والطرطوشي في كتاب «سراج الملوك» والغزالي في كتاب «التبر المسبوك» ثم ابن الطقطقي في كتاب «الآداب السلطانية». وهو موضوع تناوله ابن خلدون فيما تناول من أحوال الدول العامة والملك ، إذ يتحدث هنا عن حقيقة الملك وأصنافه ، وعن معنى الخلافة والإمامة ، وعن مختلف المذاهب والآراء في حكم الإمامة ثم عن الخطط السلطانية<sup>(١)</sup> ، وحديثه في ذلك يمتاز عن حديث أسلافه بما يتخلل بحته وتدليله من الملاحظات والتأملات الإجتماعية التي لم يوفق إليها باحث قبله .

على أن ميكافيللي يمتاز في بحته بروح عملية جافة. وبينما يتحدث المفكرون المسلمون عن الأمير أو الحاكم كما يجب أن يكون ، وعن خلاله المثلى كما يجب أن تكون ، إذا بالمفكر الايطالى ينظر الى الأمير الأمثل نظرة عملية محضة . فيصفه كما هو في الواقع ، ويتصور خلاله المثلى فيما هو حادث بالفعل ، ويرتب تدليله ونتأجه على ما أحرز الأمير وأحرزت خلاله من النجاح أو الفشل ، دون تأثر بما إذا كانت هذه الصور والحلال تتفق مع مبادئ الأخلاق المثلى كما فهمت خلال العصور . ومن هنا تستمد فلسفة ميكافيللي لونها القاتم ، وتوصم آراؤه ونظرياته السياسية بتلك الصرامة والقسوة والخبث التي جعلتها حتى عصرنا مضرب الأمثال للسياسة الغادرة التي لا ضمير لها ولا وازع ، والتي جردت من كل نزاهة وعفة ، وتفاضت عن كل المثل الانسانية والأخلاقية . والى القارئ بعض نماذج من تلك الآراء التي طبعت فلسفة ميكافيللي ، وأميره الأمثل

(١) راجع المقدمة : ص ١٥٦ و ١٥٨ الى نهاية الباب .

بذلك الطابع الأسود :

١ - « ليس على الأمير أن يجزع لما يناله من لوم على تلك الرذائل التي لا يمكن دونها إنقاذ الدولة إلا بصعوبة ، ذلك إنه إذا بُحث كل شيء بعناية ، ألفينا أن شيئا يبدو كالفضية ، إذا اتبع ، فانه يؤدي الى خرابه ( أى الأمير ) وألفينا شيئا آخر يبدو كالرذيلة ، اذا اتبع فانه مع ذلك يؤدي الى سلامه ورخائه » .

٢ - « ليس أكثر تبديدا للمال من الجود والبذخ ، إذ سرعان ما تعجز عن المضي فيهما ، وتغدو إما فقيرا أو محتقرا ، أو تغدو إذا أردت أن تجتذب الفقر ، جشعا مكروها . ويجب على الأمير أن يحرص قبل كل شيء على ألا يكون محتقرا أو مكروها . وإذا نخير أن يشتهر الأمير بالوضاعة التي تثير اللوم دون بغض ، من أن يرغم الانسان من طريق البحث عن الشهرة بالجود ، على أن يوصم بالجشع الذي يثير اللوم والبغض .

٣ - كان شيزارى بورجيا يعتبر قاسيا ، ومع ذلك فإن قسوته أرضت رومانيا (من الولايات البابوية) ووجدتها وردت اليها السلام والولاء . ولو تأملت ذلك حق التأمل ، لرأيت أنه كان أكثر رحمة من الشعب الفيرتسى الذي أراد أن يتجنب الشهرة بالقسوة ، فترك «بستويا» حتى خربت ، وأذا ما دام الأمير قادرا على الاحتفاظ لشعبه بالوحدة والولاء ، فليس عليه أن يهتم بوصمة القسوة ، لأنه بذلك يكون أكثر رحمة من أولئك الذين يفرطون في استعمال الرحمة ، فتثور القلاقل ، ويعقبها القتل والنهب .

٤ — « وهنا يبدو سؤال : هل خير أن يُحِبَّ الإنسان من أن يرهَبُ أو يرهَب من أن يحب؟ ويمكن أن نجيب بأنه من المرغوب أن يكون الإنسان محبوبا مرهوبا ، ولكن ما دام اجتماعهما في شخص واحد غير ممكن ، فإنه لخير وأكثر سلامة أن يرهَب الإنسان من أن يحب ، إذا وجب أن يتصف بإحدى الصفتين » .

٥ — « لا يستطيع الأمير العاقل ، وليس عليه أن يحفظ العهد ، إذا كان مثل هذا الوفاء قد ينقلب ضده ، وإذا لم يبق للأسباب التي حملته على قطعه وجود » .

٦ — « وإذا فليس من الضروري أن يتصف الأمير بالخلال الحسنة التي ذكرتها ، ولكن من الضروري أن يبدو كأنه يتصف بها ... ولا يستطيع الأمير ، ولا سيما الأمير الجديد أن يراعى كل الأمور التي يُقدِّر الناس من أجلها ، لأنه كثيرا ما يرغم لكي يحفظ الدولة على أن يتصرف بغير ما يقضى به الإخلاص والصدقة والإنسانية والدين . وإذا فمن الضروري أن يكون عقله متأهبا ليعمل طبقا لتقلب الريح والحظ » .

٧ — وقال مشيرا الى سياسة ملك اسبانيا فرديناند الكاثوليكي ضد المسلمين عقب سقوط غرناطة : « إنه ينتحل الدين دائما عذرا للقيام بأعمال عظيمة ، وقد ثابر بقسوة صالحة على إخراج المسلمين من مملكته وتطهيرها منهم ، وليس ثمة أبداع من هذا العمل وأندر منه » . (١)

(١) راجع الترجمة الانكليزية لكتاب الأمير The Prince - ص ١٢٣

و ١٣٠ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٧٨ (الطبعة المشار اليها) .

نستطيع من هذه النماذج الموجزة أن نفهم روح الفلسفة المكيافيليه في تصوير الدولة والأمير . وهي فلسفة تقوم على الحقائق العملية ، وتحمل هذه الحقائق رغم جفائها وروعها المكان الأول في بناء الدولة وفي سياسة الأمير . فالنفاق ، والشح والوضاعة ، والقسوة والإرهاب ، والغدر والتكث بالعهد ، وإهدار الإخلاص والصدقة والأمانة والدين ، وما إليها مما ينافي المثل الفاضلة ، وتآباه الأخلاق والإنسانية ، ليس مما تنكره الفلسفة المكيافيلية ، ولا مما يشين السياسة التي تقوم عليها ؛ ومن ثم كان الأمير والسياسي الأمثل في نظر مكيافيلي طغاة لحاوا في تأييد سلطانهم الى أروع الوسائل وأشنعها مثل البابا اسكندر السادس ، وابنه شيزارى بورجيا (دوق فالنتينو)<sup>(١)</sup> . ويتناول مكيافيلي طرفا من حياة شيزارى بورجيا الذي عرفه واتصل به في رسالة خاصة ، ويبدى إعجابه بتلك الخطط والوسائل الدموية التي ابتدعها ودبرها شيزارى للبطش بخصومه من الأمراء والقادة وقتلهم غدرا وغيلة . ومن ثم كان ذلك الطابع الأسود الذي ما يزال يدمغ «السياسة المكيافيلية» الى عصرنا . بيد أنه من الحق أن يقال إن المفكر الايطالى يبدى في صوغ فلسفته كثيرا من القوة والبراعة وبعد النظر ، وان هذه النظريات والمبادئ التي قد يُحکم عليها من الوجهة النظرية الخالصة ،

---

(١) البابا اسكندر السادس أو اسكندر بورجيا تولى البابوية من سنة ١٤٩٢ الى وفاته سنة ١٥٠٣ ، وابنه شيزارى طاغية رومانيا وبعض الولايات الايطالية الأخرى ، ولد سنة ١٤٧٦ وتوفى سنة ١٥٠٧ بعد خطوب وحوادث عظيمة . واشتهر بالجرأة والغدر والقسوة الرائعة .

كانت وما زالت على كره العصور قوام السياسات الظافرة، وما تزال الى يومنا عنوان السياسة العملية القوية .

— ٢ —

يتناول ابن خلدون كما قدمنا موضوع الدولة والملك بإفاضة ويبحثه من نواح أوسع وأبعد مدى، ويتفوق على ميكافيللي تفوقا عظيما في معالجته من الناحية الاجتماعية . ويلتقى المفكران العظامان في مواطن كثيرة . مثال ذلك ما يقوله ابن خلدون في فاتحة مقدمته عن قيمة التاريخ في درس أحوال الأمم، ثم أقواله عن آثار البطش والسياسة العاسفة في نفوس الشعب، وعن خلال الأمير وتطرفه أو توسطه فيها، وعن حماية الدولة وأعطيات الجند، وعن منافسة الأمير للرعية في التجارة والكسب، وعن تطوع الأمير الى أموال الناس وأثر ذلك في حقد الشعب عليه، وعن تطرق الخلل الى الدولة وامتداد يد الجند الى أموال الرعية، وكذا ما يقوله عن كتبة (سكرتارية) السلطان<sup>(١)</sup> فهذه كلها نقط أو موضوعات يعالجها ميكافيللي أو يقترب منها، سواء في كتابه الأمير أو في كتاب آخر له هو تاريخ فيرنتر (Istorie Fiorentine) لتخلله تأملات فلسفية واجتماعية كثيرة<sup>(٢)</sup> . وقد لا يتفق ميكافيللي مع ابن خلدون في الرأي أو في منحى التفكير دائما، ولكن كثيرا مما يقوله المفكر المسلم يتردد

(١) راجع المقدمة: ص ٧ و ١٥٧ و ١٥٨ و ٢٣٥ و ٢٣٩ و ٢٤٨

و ٢٠٥ و ١٤١

(٢) فارن ما كتبه ميكافيللي في موضوعات مماثلة في كتاب «الأمير» ص ٩٨

و ١٠٨ و ١١٨ و ١٢٦ و ١٣٥ و ١٤٩ و ١٨٣ وغيرها .

صداه فيما يقوله المفكر الايطالى . فابن خلدون هو بحق أستاذ هذه الدراسة السياسية الاجتماعية التي تناول ميكافيللى بعده بنحو قرن بعض نواحيها ، وهو بالأخص صاحب الفضل الأول في فهم الظواهر الاجتماعية ، وفي فهم التاريخ وحوادثه وتعليلها ، وترتيب القوانين الاجتماعية عليها بهذا الأسلوب العلمى الفائق .

قال العلامة الإجتماعى جمبلووتش : « ان فضل السبق يرجع بحق الى العلامة الإجتماعى العربى (ابن خلدون) فيما يتعلق بهذه النصائح التي أسداها ميكافيللى بعد ذلك الى الحكام في كتابه «الأمير» . وحتى في هذه الطريقة الجافة لبحث المسائل ، وفي صبغتها الواقعية الخشنة ، كان من المستطاع أن يكون ابن خلدون نموذجا للايطالى البارع الذى لم يعرفه بلا ريب» .<sup>(١)</sup> وقال استفانو كلوزيو مقارنا ابن خلدون بميكافيللى : « إذا كان الفلورنسى العظيم (ميكافيللى) يعلمنا وسائل حكم الناس فإنه يفعل ذلك كسياسى بعيد النظر ؛ ولكن العلامة التونسى (ابن خلدون) استطاع أن ينفذ الى الظواهر الاجتماعية كإقتصادى وفيلسوف راسخ ، مما يحمل بحق على أن نرى في أثره من سمو النظر والزرعة النقدية ما لم يعرفه عصره» .<sup>(٢)</sup>

وقد نتساءل أخيرا ، هل وقف المفكر الايطالى على شئ من تراث ابن خلدون واسترشد به ، أم وقف على شئ من آثار المفكرين

---

Gumplowicz : Aperçus sociologiques (p. 217). (١)

Colosio : Introduction à l'étude d'Ibn Khaldoun (٢)

(ibid).

المسلمين في موضوع السياسة الملكية وانتفع بها ؟ نعتقد مع العلامة جملوقتش أن ميكافيللي لم يعرف حين كتابة « الأمير » شيئاً عن ابن خلدون أو عن آثاره ، ولم يعرف من جهة أخرى شيئاً من آثار المفكرين المسلمين في موضوعه . صحيح أن بعض نواحي التفكير الاسلامي كانت معروفة في ايطاليا قبل ميكافيللي وفي عصره ، وكانت ثمة علائق فكرية قديمة بين مسلمي الأندلس وشمال إفريقيا وبين المجتمعات الفكرية في ايطاليا ، وكانت آثار إسلامية كثيرة قد ترجمت يومئذ الى اللاتينية . ولكن لا نلمح في أثر ميكافيللي شيئاً يدل على أنه عرف ابن خلدون أو أى مفكر مسلم في موضوعه . وإذا كانت ثمة وجوه شبه كثيرة بين المفكرين من حيث فهم التاريخ وتحليله ، واستقراء الحوادث ، وترتيب القوانين الاجتماعية ، فذلك يرجع كما قدمنا الى تقارب عظيم بين الذهنيين ، والى تماثل في العصر والظروف التي عاش فيها كل منهما ، والى تماثل في الخبرة السياسية التي اكتسبها كل منهما ، بنحوض حوادث عصره والاتصال بأمرائه وساسته . وربما يكون ميكافيللي قد عرف شيئاً عن ابن خلدون ومقدمته في أواخر حياته بعد أن وضع كتابه « الأمير » بنحو عشرة أعوام ، أعنى حوالى سنة ١٥٢٣ أو ١٥٢٤ ؛ ففي ذلك الحين كان الكاتب الأندلسي المنتصر ، الحسن بن محمد الوزان المعروف باسم ليون الإفريقي Léo Africanus يقيم في رومة ويتجول في شمال ايطاليا . وهو غرناطى ولد حوالى سنة ١٤٩٥ م ، ونشأ في فاس وتولى لبلاطها بعض المهام السياسية ؛ ثم حج الى مكة سنة ١٥١٦ ، وعاد بطريق قسطنطينية ؛ وفي أثناء ركوبه البحر

الى المغرب أسرته عصابة من لصوص البحر الصقليين ، فأخذ الى رومة حيث نصره البابا باسم «يوهانس ليو» أو يوحنا الأسد . وفي رومة انقطع للبحث والتأليف ، ووضع قاموسا عربيا لاتينيا ، وألف كتابه الشهير في وصف إفريقيا ، وترجمه بعد ذلك الى الإيطالية . وكان في مدينة بولونيا بشمال ايطاليا على مقربة من فيرنزا سنة ١٥٢٤ حسبا يقرر في خاتمة قاموسه اللاتيني الذي توجد منه نسخة بخطه في الإسكوريال<sup>(١)</sup> . ومن الممكن بل لعسله من المرجح أن يكون ابن الوزان قد التقى بميكائيلي وعرفه في رومة باعتباره من أعلام التفكير والكتابة يومئذ . وكان ميكائيلي بالفعل في رومة سنة ١٥٢٥ ، قصدها ليرفع كتابه «تاريخ فيرنزا» الى صديقه وحاميه البابا كلنمضوس السابع (چوليانو دي مديتشي) . ولو صح هذا اللقاء والتعارف لكان ثمة مجال للقول بأن ميكائيلي قد وقف على شيء من آثار التفكير الاسلامي التي لا بد أن يكون ابن الوزان قد أذاعها وتحدث عنها بين أصدقائه الإيطاليين ؛ ومن المرجح أن يكون ابن خلدون في مقدمة المفكرين المسلمين الذين يشملهم مثل هذا الحديث ، لاسيما وقد كان صيته ما يزال قويا ذائعا في إفريقية والمغرب حيث نشأ ابن الوزان ودرس . على أنه مهما كان من شأن هذه الفروض ، فلسنا نستطيع أن نقول إن ميكائيلي قد انتفع في صوغ فلسفته السياسية والاجتماعية بشيء من آثار التفكير

---

(١) راجع معجم المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال - Casiri :

theca Arabo - Hispana Escorialensis (I. P. 172). فقيه نقل

هذه الخاتمة .

الإسلامي ؛ ولسنا نلمح في كتابه أثرا لهذا التفكير . وميكافيللي  
ذهن مبتدع مبتكر بلا ريب ، كما كان ابن خلدون ذهنا مبتكرا  
مبتدعا ، وقد شق كلا المفكرين العظيمين طريقه لنفسه ، وألهم  
وحي نفسه ؛ وكان كتاب « الأمير » فتحا عظيما في تفكير عصر  
« الإحياء » الأوربي (الرينصانص) كما كانت مقدمة ابن خلدون  
فتحا عظيما في التفكير الإسلامي .

# الملاحى اارول

## بيان فهرسى عن كتاب العبر

ظهور القطع الأولى من مؤلف ابن خلدون . نشر المقدمة فى باريس ومصر . إخراج بولاق للأولف كه . صبغة الإهداء فى النسخة المتداولة ومدلوها . ما ترجم من أثر ابن خلدون الى مختلف اللغات . ما يوجد من مخطوطات أثره .

— ١ —

لبث تراث ابن خلدون رغم أهميته ونفاسته حتى منتصف القرن الماضى محتجبا ، بعيدا عن التداول العام إلا فقرات ومقتطفات صغيرة من مقدمته وتاريخه تنشر ترجمتها من وقت لآخر . وفى ذلك الحين بدأت العناية بنشر آثاره ؛ فنشرت المقدمة ، ونشرت قطع مختلفة من تاريخه . وظهرت أول قطعة كبيرة من آثاره بباريس سنة ١٨٤١ حيث نشر المستشرق نؤيل دى فرجيه مقتطفات من « كتاب العبر » تتضمن تاريخ بنى الأغلّب ودولة الاسلام فى صقلية مع ترجمة فرنسية بعنوان *Hist. de l'Afrique sous les Aghlabites et la Sicile sous la Domination musulmane.* وفى سنة ١٨٥٨ ظهرت مقدمة ابن خلدون فى باريس فى ثلاثة مجلدات ، أصدرها المستشرق كاترمير عن نسخة مخطوطة بالمكتبة الملكية ، ضمن المجموعة المسماة « مذكرات ومقتطفات من مخطوطات مكتبة الملك » *Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliothèque du Roi.* وهى تشمل ضمن هذه المجموعة ، المجلدات السادس عشر الى

الثامن عشر . وفي نفس ذلك التاريخ نشرت المقدمة بمصر لأول مرة (سنة ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٨ م) بعناية الشيخ نصر الهوريني عن نسخة مخطوطة أخرى ، تتضمن بالديباجة فقرة إهداء للمؤلف لم ترد بنسخة باريس . ونشرت المقدمة في بيروت سنة ١٨٧٩ ، ثم نشرت بعد ذلك مرارا . وعينت مطبعة بولاق بإخراج أثر ابن خلدون ( كتاب العبر ) كله ، فظهر تباعا في سبعة مجلدات كبيرة ، وتم طبعه سنة ١٢٨٤ هـ ( ١٨٦٨ م ) واعتمد في إخرجه على عدة نسخ مخطوطة كلها ناقصة (١) ، ولكنها تكمل بعضها بعضا ، ونقلت المقدمة عن نفس النسخة المخطوطة التي نقلت عنها طبعة سنة ١٢٧٤ هـ بجاءت متضمنة فقرة الإهداء المشار إليها . ولهذه الفقرة أهمية خاصة في التعريف عن تاريخ النسخة التي تضمنتها وعن قيمتها ، ففيها يتقدم المؤلف بإهداء هذه النسخة من كتابه الى خزانة «مولاه السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن من بنى مرين» ويقول إنه «بعثها الى خزانته الموقفة لطلبة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم» . والسلطان عبد العزيز المذكور هو ابن أبي العباس بن أبي سالم بن السلطان أبي الحسن ، تولى عرش المغرب الأقصى سنة ٧٩٦ هـ ، وتوفي في صفر سنة ٥٧٩٩ هـ . وأذا فقد وقع إهداء ابن خلدون كتابه للسلطان عبد العزيز في هذه الفترة ٧٩٦ - ٧٩٩ هـ . وقد انتهى البحث الحديث بأن وقف

---

(١) يوجد من هذه النسخ الناقصة بدار الكتب اثنان ، وتوجد أيضا بها مجلدات مخطوطة متفرقة من كتاب العبر . وتحفظ هذه النسخ بالأرقام الآتية : ١٨٥ م تاريخ ، و ٦٥ م تاريخ ، و ٦٦ م تاريخ ، و ١ ش .

على مجلدين من هذه النسخة التي بعثها ابن خلدون الى فاس لازالا بمكتبة جامع القرويين ؛ عثر بهما الأستاذ ألفرد بل Bel وذ كرها ضمن الفهرس الذي وضعه لمكتبة جامع القرويين ، وأشار الى أن أحدهما يحمل صيغة الوقف (١) . وقد عاد الأستاذ ليثى بروفنسال فحقق صحة هذا الاكتشاف ، ونشر بحثه فى المجلد الاسيوية مشفوعا بصورة فتوغرافية لصيغة الوقف المرقومة على غلاف أحد المجلدين ؛ والمجلدان هما الثالث والخامس (مما يقابل نسخة بولاق تقريبا) . والخامس يحمل صيغة الوقف ، وتاريخ هذا الوقف هو ٢١ صفر سنة ٧٩٩ هـ . وفى نهاية هذا المجلد إشارة من الناسخ تفيد أنه «نقل من الأصل المعتمد لمؤلفه» (٢) . وقد وقع إهداء ابن خلدون لهذه النسخة فى نفس الوقت الذى أرسل فيه الظاهر برقوق سلطان مصر هديته الى سلاطين المغرب كأثر للصلوات التى عمل ابن خلدون على عقدها بين بلاط القاهرة وقصور المغرب ؛ وأرسل ابن خلدون نسخة كتابه هذه الى المغرب مع رسل السلطان الظاهر ؛ وتوفى السلطان عبد العزيز فى ذلك الحين . ولكن أبناء وفاته لم تكن قد وصلت بعد الى القاهرة . ومن المحقق أن هذه النسخة المهداة الى بنى مرين سادة ابن خلدون وحماته الأوائل كانت من أتم نسخ

(١) Catalogue des livres arabes de la bibliothèque de la mosquée d'El Quaruiyin à Fez (p. 6).

(٢) J. Asiatique (Juillet - Sep. p. 163 - 164.) وقد نشرت

جريدة الاهرام صورة هذه الوقفية (بعدها الصادر ٣ مارس سنة ١٩٣٣ بصحيفة الصور) وقدم اليها الصورة السيد عبدالحى الكفانى أحد أ كابر علماء الغرب أثناء زيارته للقاهرة .

الكتاب وأوفاهما، إذ كان قد مضى على كتابة ابن خلدون نسخة كتابه الأولى نحو خمس عشرة سنة؛ وقد عني ابن خلدون أثناء مقامه بالقاهرة في هذه الفترة بتنقيح كتابه وتهذيبه والزيادة فيه؛ وشمل التنقيح والزيادة جميع أقسام الكتاب، ووصل ابن خلدون في تدوين أخبار الحوادث المعاصرة في كثير من المواطن إلى سني ٧٩٥ و ٩٦ و ٩٧ هـ حسبما بينا فيما تقدم . وتوجد بدار الكتب ( مجموعة مصطفى باشا ) نسخة مخطوطة من كتاب العبر في عشرة مجلدات تنقص عن النسخة الكاملة مجلدا ( المجلد السابع من المطبوع )، وتحتوي مقدمتها على صيغة الإهداء المشار إليها ( ورقة ٤ من المجلد الأول ) مما يدل على أنها قد تكون صورة مطابقة للنسخة الأصلية المهداة إلى بلاط فاس (١) .

والخلاصة أن نسخة « كتاب العبر » المتداولة التي أصدرتها مطبعة بولاق عن النسخ الخطية للمشار إليها، هي رغم كثرة أغلاطها المطبعية، من أتم النسخ التي انتهت إلينا من أثر ابن خلدون .

بعد أن نشرت مقدمة ابن خلدون في باريس بعنايه العلامة كاترمير سنة ١٨٥٨ ؛ جاء البارون دي سلان فترجم المقدمة إلى الفرنسية، وهو العمل الذي كان يعتمده كاترمير وحالت وفاته دون إتمامه . وظهرت ترجمة دي سلان الفرنسية بين سنتي ١٨٦٣ و ١٨٦٨ في ثلاثة مجلدات كبيرة بعنوان *Les Prolegomènes d'Ibn Khaldoun (Par M. de Slane Membre de l'Institut).*

(١) تحفظ هذه النسخة بدار الكتب برقم (٦٥ تاريخ م) .

واتبع دى سلان فى ترجمته النص الذى نشره كاترمير إلا فى مواطن قليلة جدا قارن فيها المخطوطات المختلفة . وصدر المقدمة بترجمة "للتعريف بابن خلدون" وأكمل ترجمته حتى وفاته بالاعتماد على المصادر المصرية المعاصرة (المقرىزى والعينى وابن قاصى شهبه) . ويشكو دى سلان من أسلوب ابن خلدون ويقول إنه ركيك وغامض فى أحيان كثيرة ، وإنه يستعمل الضمائر بكثرة تحول أحيانا دون فهم مقاصده<sup>(١)</sup> والواقع أنه يوجد فى ترجمة دى سلان غموض كثير ، ولكننا نعتقد أن ذلك لا يرجع دائما الى غموض النص الأصيل ، وإنما يرجع فى معظم الأحيان الى ضعف الترجمة ذاتها .

كذلك نشر دى سلان قسما كبيرا من تاريخ ابن خلدون هو المتعلق بتاريخ الدول البربرية فى مجلدين كبيرين بعنوان « تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب » (الجزائر سنة ١٨٦٣) ؛ ورجع فى نشر هذا القسم الى عدة نسخ مخطوطة ، واختصر فيه فى بعض المواضع وأضاف اليه مقتطفات لمؤلفين آخرين . ونشر ترجمة فرنسية لهذا القسم فى أربعة مجلدات ظهرت بالجزائر سنة (١٨٥٢--١٨٥٦) بعنوان *Hist. des Berbères et des Dynasties musulmanes de l'Afrique Septentrionale.*

وترجمت المقدمة الى التركية منذ أوائل القرن الثامن عشر ، ترجمها اليها پيرى زاده المتوفى سنة ١٧٤٩ م (١١٦٢ هـ) . وترجمت الى الفرنسية أجزاء أخرى من التاريخ ، منها قطعة عن تاريخ بنى زيان *Hist. de Benou Zayan* ، ترجمها دوزى ، وقطعة عن بنى

(١) راجع ترجمة دى سلان — ج ١ ص ١١٢

Hist. des Benou al Abmar Rois de Grenade ، ترجمها جودفري دمومبين ، وقد نشرتا في المجلة  
الآسيوية (Journal Asiatique) وقطعة مطولة أخرى عن ملوك  
بنى عبد الواد ترجمها المستشرق بل ، وظهرت بالجزائر في ثلاثة  
مجلدات بعنوان Hist. des Beni Abdel-Wad Rois de Tlemcan  
وترجمت قطع الى الألمانية من ذلك ما ترجمه تيزنهاوزن عن  
تاريخ بنى عقيل : Die Geschichte der Oqailiden-Dynastie .  
وفصول عن تاريخ احتلال الفرنج لشواطئ سوريا أيام الصليبيين  
بقلم تورنبرج : Geschichte der Franken, welche die Küsten  
und Grenzlaender Syriens besetzen. وفصول أخرى مختلفة من  
المقدمة والتاريخ بقلمى فون هاماروفون كريم . وظهرت أخيرا  
ترجمة المانية لآراء ابن خلدون عن الدولة بقلم ادوين روزنتال  
مقرونة بشروح وتعليقات تحت عنوان : Die Gedanken d'Ibn  
Khaldoun ueber den Staat.  
وترجمت قطع من المقدمة الى الإيطالية إحداها عن الكتابة  
العربية بقلم لانشى وأخرى عن تاريخ صقلية بقلم العلامة أمارى .  
وترجم الجزء المتعلق بتاريخ اليمن الى الانكليزية بقلم كاسلس كى  
(Kay) وشذور أخرى بقلم الأستاذ فلنت . وترجمت أيضا قطع  
مختلفة أخرى الى اللاتينية والروسية .

وتوجد نسخ مخطوطة من المقدمة في مكاتب برلين وليدن  
وفلورنس ولندنجراد والمتحف البريطانى وميلان وميونخ وباريس

وثينا . وتوجد نسخ مخطوطة من المؤلف كله أو بعضه بالقاهرة  
بدار الكتب المصرية ( وبها نسختان كاملتان تقريبا وبعض  
مجلدات مفردة ) ومكتبة الأزهر . وفي قسطنطينية في عثمانية  
ويني جامع وابراهيم باشا . وفي فاس بجامع القرويين . وفي المتحف  
البريطاني وأكسفورد وتورينو وتبئجن وتونس والجزائر . وتوجد  
نسخة كاملة من التعريف أو الرحلة بدار الكتب المصرية  
(مصطفى باشا) ، وعنها نقلت بعض المكاتب نسخا فتوغرافية .  
وهي الوحيدة فيما يظهر<sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع وصف هذه النسخ الخطية وتواريخ كتابتها في فهرس هذه المكاتب .

# الملاحق الثاني

## ثبت بالمصادر

- ١ -

### المصادر العربية

- كتاب العبر (تاريخ ابن خلدون)، والمقدمة .
- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا (مخطوط) .
- مقدمة ابن خلدون، طبعة كاترمير (باريس سنة ١٨٥٨) .
- مقدمة ابن خلدون، (مصر) سنة ١٢٧٤ هـ .
- اللحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية لابن الخطيب .
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للقري .
- رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر (مخطوط) .
- أنباء الغمر في أنباء العمر لابن حجر (مخطوط) .
- المنهل الصافي لابن تغري بردى (مخطوط) .
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوى (مخطوط) .
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ للسخاوى .
- السلوك في دول الملوك للقريزي (مخطوط) .

- الخطط والآثار للمقریزی .
  - إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقریزی (مخطوط) .
  - عجائب المقدور لابن عربشاه .
  - تاریخ مصر لابن إیاس .
  - حسن المحاضرة للسيوطی .
  - الأحكام السلطانية للماوردي .
  - قوانين الوزارة للماوردي .
  - الفخری فی الآداب السلطانية والدول الاسلامیة لابن الطقطقی  
(جریفزولد سنة ١٨٥٨) .
  - سراج الملوك لأبی بكر الطرطوشی وبهامشه التبر المسبوك للغزالی .
  - المنهج المسلوك فی سياسة الملوك لعبد الرحمن بن محمد .
  - عیون الأخبار لابن قتیبة .
  - رسائل إخوان الصفا .
  - آراء أهل المدينة الفاضلة لأبی نصر الفارابی .
  - صبح الأعشى للقلقشندي .
  - مصر الإسلامیة لمحمد عبد الله عنان .
-

## المصادر الغربية

هذا ونشر فيما يلي ثبتا بأهم المراجع والبحوث النقدية التي  
ظهرت عن ابن خلدون وتراثه بمختلف اللغات الأوروبية :

Von Hammer-Purgstall : Ueber den Verfall des Islams  
nach den ersten drey Jahrhunderten der Hidschrat  
(1812).

A. von Kremer : Ibn Chaldün und seine Kultur-  
geschichte der islamischen Reiche ; Wien 1879.

L. Gumplowicz : Ibn Khaldun, ein arabischer Soziologe  
des 14. Jahrhunderts ; in Sociologische Essays.

T. J. de Boer : Ibn Chaldun ; in Geschichte der Philoso-  
phie im Islam ; Stuttgart 1901. p. 177-84.

Lewine : Ibn Chaldün, ein arabischer Soziologe des XIV.  
Jahrhunderts. (بالروسية)

Von Wesendonk : Ibn Khaldun, ein arabischer Kultur-  
historiker des 14. Jahrhunderts. (Deutsche Rundschau  
Januar 1923) والحقت ترجمتها العربية بقلم محمد عبد الله عنان بكتاب  
فلسفة ابن خلدون الاجتماعية .

Müller : Der Islam ; II. p. 668 ff.

Brockelmann : Geschichte der arabischen Litteratur ; II,  
p. 243. ff.

Wuestenfeld : Geschichteschreiber der Araber No. 456.

Rosenthal : Ibn Khalduns Gedanken über den Staat ;  
München 1932.



Encyclop. de l'Islam : art. : Ibn Khaldoun par Alfred Bel.  
Biographie Universelle t. XX. art. Ibn Khaldoun par S.  
de Sacy.

Schulz : Ibn Khaldoun : (art. au Journal Asiatique 1825).

Reinaud : Ibn Khaldoun : dans Nouvelle Biographie  
Générale (1858).

De Slane : Les Prolégomènes d'Ibn Khaldoun.

S. Colosio : Contribution à l'étude d'Ibn Khaldoun.  
(Revue du monde musulman XXVI, 1914.)

René Maunier : Les idées économiques d'un philosophe  
arabe (Revue d'histoire économique et sociale, 1912.)

R. Maunier : Les idées sociologiques d'un philosophe  
arabe au XIV<sup>ème</sup> siècle : (l'Egypte contemporaine,  
1917, p. 31.)

Taha Hussein : La philosophie sociale d'Ibn Khaldoun.

وترجمتها العربية : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية بقلم محمد عبد الله عنان .



Graberg de Hemsoe : Account of the great historical  
work of the african philosopher Ibn Khaldoun. (Tran-  
sactions of the A. R. S. 1833).

R. Flint : Historical philosophy, Edinbrough 1893. p.  
157 ff.

N. Schmidt : Ibn Khaldun, Historian, Sociologist and  
Philosopher, New York 1930.



Ferreiro : Un sociologo arabo del secolo XIV (La Riforma  
Sociale anno III Vol. VI. Fase. 4. 1886).

ورجعنا أيضا الى الكتب الآتية :

N. Machiavelli : The Prince.

: Florentine History.

Aristotles' : Politics.

Dozy : Recherches sur l'Hist. et la Littérature d'Espagne  
au moyen âge.

Casiri : Bibliotheca Arabo- Hispana Escorialensis.

---

# فهرس

## الكتاب الأول

### حياة ابن خلدون

---

١ - في المغرب والأندلس

٧٣٢ - ٧٨٤ هـ ، ١٣٣٢ - ١٣٨٢ م

صفحة

- ١١ ... الفصل الأول : نشأة ابن خلدون ...
- ١٢ ... (١) أسرته ...
- ١٧ ... (٢) نشأته الأولى ...
- ١٩ ... الفصل الثاني : ابن خلدون في بلاط فاس ...
- ١٩ ... (١) إفريقية في القرن الثامن الهجري ...
- ٢٣ ... (٢) ابن خلدون والسلطان أبو عنان ...
- ٢٧ ... (٣) بقية أخباره في فاس ...
- ٣٥ ... الفصل الثالث : رحلة الأندلس ...
- ٤٢ ... الفصل الرابع : ذروة المغامرة ...
- ٥٤ ... الفصل الخامس : العزلة والتأليف ...

٢ — ابن خلدون في مصر

صفحة	٧٨٤—٨٠٨ هـ ١٣٨٢—١٤٠٦ م
٦٤	الفصل السادس: ولاية التدريس والقضاء ... ..
٦٤	(١) ابن خلدون في القاهرة... ..
٧٠	(٢) ولاية القضاء الأولى ... ..
٧٩	الفصل السابع: في دمشق وفي معسكر تيمورلنك... ..
٧٩	(١) ابن خلدون وتيمور... ..
٨٦	(٢) ولاية القضاء الثانية ... ..
٩٠	الفصل الثامن: ابن خلدون والتفكير المصري ... ..
٩٠	(١) الحصومة بينه وبين الكتاب المصريين ... ..
٩٦	(٢) ابن خلدون والمقریزی ... ..
١٠٠	(٣) مقامه بمصر وقبره... ..

الكتاب الثاني

تراث ابن خلدون الفكري والاجتماعي

١٠٧	الفصل الأول: علم العمران كما يعرضه ابن خلدون ...
١٠٧	(١) علم العمران البشري ... ..
١١٠	(٢) مقدمة ابن خلدون... ..

صفحة

الفصل الثانى : علم السياسة والملك قبل ابن خلدون ... ١١٧

(١) ابن قتيبة والفارابى ... .. ١١٩

(٢) رسائل إخوان الصفا ... .. ١٢٠

(٣) الأحكام السلطانية للماوردى ... .. ١٢٢

(٤) سراج الملوك للطرطوشى ... .. ١٢٣

(٥) الفخرى لابن الطقطقى ... .. ١٢٥

الفصل الثالث : كتاب العبر والتعريف ... .. ١٢٩

(١) كتاب العبر أو تاريخ ابن خلدون ... .. ١٢٩

(٢) التعريف أو ترجمة ابن خلدون ... .. ١٣٧

(٣) مؤلفات أخرى ... .. ١٤٢

الفصل الرابع : ابن خلدون والنقد الحديث ... .. ١٤٤

(١) فيلسوف التاريخ ... .. ١٤٧

(٢) فيلسوف الاجتماع ... .. ١٥٠

(٣) ابن خلدون الاقتصادى ... .. ١٥٥

(٤) الفيلسوف الجامع ... .. ١٥٧

الفصل الخامس : ابن خلدون وميكافيللى ... .. ١٦١

(١) كتاب الأمير ... .. ١٦١

(٢) المفكران كلاهما مبتكر فلسفته ... .. ١٧٠

## ملاحق

صفحة

- ١ — بيان فهرسى عن كتاب العبر ... .. ١٧٥
- (١) أصول النسخ المتداولة... .. ١٧٥
- (٢) التراجم المختلفة ... .. ١٧٨
- (٣) المخطوطات ... .. ١٨٠
- ٢ — المصادر العربية ... .. ١٨٢
- ٣ — المصادر الغربية ... .. ١٨٤
-



تم طبع كتاب "ابن خلدون" بمطبعة دار الكتب  
المصرية في يوم الأحد ١٦ رجب سنة ١٣٥٢  
(٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣) م

محمد نديم

ملاحظ: المطبعة بدار الكتب

المصرية

(مطبعة دارالكتب المصرية ٢٤/١٩٣٣/٣٠٠٠)